السنة السادسة عشرة   العدد ١١   تشرين الثاني   ١٩١٣

المشرق

تذكار مولد لويس ڤويليو

بطل الصحافة الكاثوليكية في فرنسة

للاب لويس شيخو اليسوعي

ان كان الصحافي الكاثوليكي يُسرّ بالكتابة عن الرجال العظام فانّ سروره اعظم بنشر مآثر فرسان الاقلام الذين قدّسوا يراعهم بالجهاد الصالح في حلبة الدين والأدب فانّ مثالهم يستفزّهُ ويشحذ قريحتهُ اذ يجد فيهم ائمّة سبقوهُ فنهجوا لهُ طريقاً شريفة مجيدة لقوا فيها ما يلقاهُ من المسالك الوعرة والعقبات الكؤود. ومن ثمَّ لم نرَ بُدّاً من مشاركة الصحافة الكاثوليكيّة الاوربيّة في تذكار من يعدُّونهُ كإمام الصحافيين في القرن المنصرم نعني به لويس ڤويليو

احتفلت اسبانية الكاثوليكيّة قبل اربع سنوات بذكر مولد كاتبها المقدام وخطيبها اللسان دونوزو كورتيس (١٨٠٩ – ١٨٥٣) فوفوهُ حقّهُ من المديح واطروا مآثرهُ الكتابيّة في الصحف وخطبهُ على المنابر وتآليفهُ في الدفاع عن حوزة الدين فلم يشأ الفرنسويون ان يتأخروا في ذكر بطلهم الذي شرّف الصحافة بمقالاته الضافية وكتاباته الجلية في كلّ فنون الأدب وكان صديقاً حميماً لدونوزو كورتيس جريا في ذات الميدان وهما كفرسي رهان

والحقّ يقال انّ لويس ڤويليو يستحقّ اكثر من سواهُ ان تلهج بمدحهِ الالسنة ويُخلّد ذكرهُ على صفحات القلوب فانّ حياتهُ ليست كحياة غيرهِ مشوبة بالمحاسن والمساوئ وبالمحامد والمثالب بل كانت كسلسلة اعمال صالحة ومساعٍ مشكورة في

خدمة كل مشروع حميد. وهو في كل ذلك لا يطلب نفعاً شخصياً او جزاء بشرياً حتى انهُ رفض ما قدَّموهُ لهُ من الاوسمة والامتيازات الشرفيَّة لتكون خدمتهُ خالصةً لوجه الله. لكنَّ الرب الذي يرفع المتواضعين لم يسمح بخمول مجدهِ. وهذه الحفلات بنسبة المئة الاولى لتذكار مولدهِ دليل جديد على صحة الآية الانجيليَّة ان من اتَّضع ارتفع

ولا يجوز لشرقنا السكوت في هذه الفرصة لأن من يقلب تآليف لويس فويليو وشقيقهِ اوجان يجد فيها كلاماً مستفيضاً في وصف احوال الشرقيين الاجتماعيَّة والدينيَّة والادبيَّة فألفت الينا انظار مواطنيهِ. وهذا ما حدا بنا الى كتابة الاسطر الآتية حيث نعرّف بوجيز الكلام الرجل ثمَّ الكاتب ثمَّ المسيحي

الرجل

في احد ايَّام الربيع من السنة ١٨١١ كانت فتاة جميلة المنظر رقيقة الطباع تشتغل بالخياطة عند شبَّاك بيتها المزدان بالزهور وهي تتشمَّس بعد برد الشتاء وتغنّي بصوتٍ رخيم لتخفّف عبء الشغل اذ مرَّ امام البيت شابٌ حامل على كتفهِ ادوات صنعتهِ وكان يتجوَّل ليصطنع البراميل. فرأتهُ الفتاة مضنوكاً بالتعب فدعتهُ ليأخذ في بيت اهلها نصيباً من الراحة. فدخل شاكرًا متأثرًا من لطف الفتاة وما قضى ساعةً هناك حتى توسَّم فيها الخير وعلم انهُ سيجد في خطبتهِ للبنت سعادة حياتهِ وما لبثا ان اقترنا بالزواج المسيحي برضى اهليهما وسكنا في تلك القرية المدعوَّة بوان من مقاطعة لوارهْ في اواسط فرنسة

وهذان الزوجان هما والدا لويس فويليو كانا رقيقي الحال يعيشان من شغلهما هذا من ادواتهِ وتلك من إبرتها لكنهما كانا غنيَّين بمواهب القلب متأصلين في دينهما (١ رغماً عمَّا فشا في ذلك الوقت من روح الكفر بمساعي زعماء الثورة والجمعيَّات السريَّة. وكانت امهُ تذكر بالفخر انَّ عصابة من الاوباش هجموا سنة ١٧٩٣ على كنيسة القرية والصليب المنتصب امامها يريدون نقض اركان بيت الله وتحطيم الصليب فلم يجسر احد من الاهلين على ردّ كيدهم فوثبت والدتها جدَّة لويس كلبوءة وقبضت على فأسٍ محدَّدة ودعت لمناصرتها نساء القرية فكان ازيزها صدى

(١) بقي ابوهُ مدَّةً متباعدًا من الفروض الدينيَّة ثم تاب

في قلوب رفقائها فأحطن بالكنيسة والصليب إحاطة السوار بالزند فصرخت زعيمتهن الى اولئك الاشرار وعيناها تتقدان بالشرر أنها تقتل بفأسها اوّل من يرفع يده على الصليب. فتحقق اولئك الاشرار أنها تفعل فنكصوا على اعقابهم فشلين

كان مولد فويليو بين دويّ المدافع وصلصلة السلاح في ١١ تشرين الأول سنة ١٨١٣ اذ كان نابليون الكبير ناوياً ان ينهض نهضة الاسد ليسحق اعداءه المتحالفين لمحاربته لكنّ الله كان قد اهمله مذ رفع يده على نائب السيد المسيح فاتماه في السجن وضيّق عليه فما لبث نابليون ان عرف صحّة المثل: « أن من يأكل لحم البابا يفطس »

فنشأ لويس وهو لم يعرف تلك الامور الخطيرة التي جرت سنة مولده الّا بعد حلولها بزمان. وقد كانت السنون الاولى من حياته كحياة احداث القرى قضاها في درس مبادئ العلوم في مكتب قريته فاخذ منها كفاية على أنّه كان يتحسّر اذ يذكر ما وجد في تلك المدرسة العلمانيّة من سوء التربية لقلّة المدارس الدينيّة في ذلك العهد

واذ كان والدا لويس في حاجة الى مساعدته بقيا مدّة مرتابين لا يعلمان ايّ حرفة يعلّمانه ليرتزق منها وهما في هذا الفكر اذ أفلس الرجل الذي كان ابوا لويس اتّشاه على مالهما فاضطرّا الى مغادرة قرية بوان طلباً للمعاش فوجدا في باريس شغلاً يسدّ عوزهما. واذ علم احد المحامين انّ لويس ابنهما يحبّ الدرس ضمّه الى مكتبه مع عدّة شبّان كانوا يساعدونه في اعداد اوراق الدعاوي

وكان المحامي المذكور أخاً لشاعر شهير في ذلك الوقت اعني كازيمير ديلافيني فكان كتّاب اخيه يجتمعون لقراءة قصائده ويتبرون في نظم الشعر على مثاله. فاخذت الحميّة لويس فويليو فشرع يكتب وينظم فيتعجّب رفقته الشبّان من كتاباته الرائقة

وفي تلك الاثناء حدثت ثورة السنة ١٨٣٠ التي قوّضت عرش ملك البوربون شرل العاشر. فعاد اهل الثورة الى مناهجهم في حقّ الدين والمجتمع الانسانيّ لكنّ العقلاء الذين كانوا يتذكّرون سيول الدماء التي اجراها الفوضويّون سنة ١٧٩٣ خافوا من تكرار تلك الفواحش فطلبوا الوسائل ليوقفوهم عند حدّهم لاسيما بتحرير الجرائد المحافظة. فعرضوا على لويس فويليو ان يكتب في ما انشأوه من الجرائد في بعض المدن فرضي وعمره لا يتجاوز اذ ذاك التسع عشرة سنة

فما كاد ينطُّ قلمهُ في الدواة حتى عرف القرَّاء انَّهُ ابن بجدتها فاخذ الناس يتزاحمون على مطالعة كتاباتهِ حيثما ظهرت فكتب في مدةٍ صحف والتوفيق يساعدهُ حتى جعلوهُ رئيس انشائها بعد ان كان من محرّريها ثم جاء الى باريس ونال فيها الشهرة كما احرزها في المدن التي دونها

وكان لويس كأهل ذاك العصر لا يكاد يبالي بامر الدين فيشتغل بالسياسة مدافعاً من النظام والسلطة الدينيَّة الَّا انَّهُ لحظ بعد زمن قليل انَّ السياسة بلا دين كبناء بلا اساس ينتقضهُ كل من يتعرَّض لهُ. فتبيَّن عجز السياسة لإصلاح العمران بل استنكف من الكتابة في امور اختبر ضعفها بل تحقَّق بطلانها. وكان يرى في نفسهِ اشمئزازاً من الدنيا وخزعبلاتها. وهو لم يجد ما يسندهُ في تيار امواجها فهمَّ ان يطلب لقلبهِ راحةً في الاسفار فقصد ان يبحر الى الاستانة ومنها يزور الشرق لكنَّ الله غيَّر في الطريق مسيرهُ فتوجَّه الى رومية وهو لايريد من سفرهِ اليها سوى ترويح البال فكانت لهُ رومية كطريق دمشق لبولس الرسول فتجلَّى لهُ الله وكشف لهُ كنوز رحمتهِ على يد بعض اصدقائهِ الافاضل الذين كانوا في رفقتهِ واذ كان يوماً يزور معهم احدى كنائس رومية مسَّ الله قلبهُ وبدَّد ظلمات عقلهِ فاناب الى خالقهِ وخرج منها رجلاً جديداً يكرّر مع شاول: ماذا تريد يارب ان اصنع ؟ . وكان اذ ذاك في رومية يسوعيّ شهير بعلمهِ وتقاهُ الاب روزافن اجتمع بهِ ل. فويليو وبعد ان استنار بنارهِ وأرسخ لديهِ قدمهُ في ايمانهِ جاهر بالتوبة واقتبل الاسرار المقدسة. وقد صنَّف في ذلك كتاباً من أنفع الكتب دعاهُ « رومية ولوريتو » فصَّل فيهِ كارغستينوس في كتاب اعترافاتهِ خبر ارتدادهِ وهو تأليف يسيل رقَّةً لماحسنهِ وتتدفَّق من مطاويهِ مواطف الشكر للربّ الذي انقذهُ من هوَّة الجهل وهداه الى سواء السبيل

ثمَّ تجوَّل في سويسرة وكتب تفاصيل رحلتهِ اليها وعاد الى باريس سنة ١٨٤٢ حيث تيسَّرت لهُ الامور وعرض عليهِ ارباب الامر الدخول بين عمَّال الحكومة مع الامل الوطيد بالبلوغ الى مناصبها الرفيعة لكنَّهُ بعد ان جرَّب خدمة الدولة مدَّة رأى انَّ حياتهُ اعلى قدراً من ان يصرفها في وظائف مبتذلة تُغنيهِ دون ان يتاجر بالوزنات التي نالها من سيّدهِ

وفيما هو يفكّر في دعوتهِ اذ ارسلهُ وزير الدولة گيزو الى الجزائر ليوقفهُ على

احوال هذه المستعمرة التي كانت فرنسة ‹أَمكتها منذ عهد قريب فلبَّى لويس الى طلبهِ وقضى في الجزائر ستة اشهر في ضيافة الجنرال بوجو احد اصدقائهِ سابقاً. فكتب عن احوال تلك البلاد تقارير سريَّة شكرهُ على تدقيقها وضبطها وزير الدولة واردف ذلك بكتاب جليل عنوانهُ « الفرنسويون في الجزائر »

وفي تلك الاثناء كان يلحظ تديُّن الجزائريين ويقابل بين ما هم عليهِ من التعصُّب لدينهم وما يراهُ في المستعمرين من مواطنيهِ من الاستهتار فيسوءُهُ الامر. فكان يسعى طاقتهُ ان يظهر للجميع اعتبارهُ لدينهِ فيحضر كل الحفلات الدينيَّة بلا حياء بشري. فاثَّر مثلهُ في بعض المسلمين واليهود الذين طلبوا التنصُّر. واختارهُ اسقف المدينة ليكون شبيناً لموسويّ اعتمد بحضورهِ وكانت شبينة المتنصِّر احدى نساء الامير احمد باي الجزائر سابقاً وهي ايضاً من المتنصرات

وقد اتاحهُ الله في مدَّة اقامتهِ في افريقية نعمةً جديدة كان يطلبها من الله بثقة تزيد بها رجوع اخيهِ ارجان الى الدين بعد ١٨٤١ لفرائضهِ منذ صباه. فارتدَّ كاخيهِ لويس على يد احد الآباء اليسوعيين في باريس الاب ڤارين الواعظ الشهير. فأنعم الخبر قلب لويس فرحاً فهنَّأ شقيقهُ بقولهِ انَّ العلائق الاخويَّة الوثيقة التي كانت بينهما قد تضاعفت فلن يفصمها الدهر الى الابد. وكان اوَّل ما فكَّر فيهِ عند عودتهِ الى باريس ان يضمَّ اخاهُ الى صدرهِ ويزيدا سويَّةً عبرات الفرح شاكرَين لله على نعمة زادتهما حبّاً واخاء

ثمَّ اخذ الاخوان يتحادثان على ما صار اليهِ دين اجداد الفرنسويين من التقهقر بسبب الثورة الفرنسويَّة وتعاليم زنادقة القرن الثامن عشر فخلع ذلك الجيل ربقة الدين القويم واستسلموا الى الكفر الذي حطَّ بفرنسة الى هوَّة الدمار. ثم قام اولادهم بعدهم فرضعوا مثلهم افاويق الضلال فبثُّوا روح ڤولتير وروسُّو بين مواطنيهم بخطبهم وكتبهم وجرائدهم حتى صار الجمهور ينظر شزراً الى الدين وارباب وينابذ تعاليمهُ الخلاصيَّة الجديرة وحدها بان تخلّص الوطن من الاضمحلال

وكانت نتيجة هذا الحديث انَّ الاخوين عزما على ان يوقفا قلمهما على الدفاع من حياض الدين وشرف كنيسة المسيح التي ليس خلاص خارجاً عنها. وتناول لويس ڤويليو من ساعتهِ قرطاساً فكتب الى الوزير گيزو يستعفي من مواصلة خدمة

وطنهِ في الدوائر الرسميَّة لينقطع الى الكتابة. ففعل هذا وهو يعلم بأن الكتابة لا توتيهِ من الارباح نصف ما يكسبهُ كعامل الدولة

ثمَّ اندفع لويس مطلقاً لقلمهِ عنانهُ فصنَّف تآليفهُ المعروف بأعطار رومية من أمتع مؤلفاتهِ وألطفها واحسنها انشاء وأدلها على تديُّنهِ وحبهِ للكنيسة لولا انهُ كان يفضّل التحرير في الجرائد

وكانت حينئذٍ الجرائد الكاثوليكيَّة خاملةً لتحامل اعداء الدين عليها وقلَّة كتبتها المبرّزين ولانقسام كلمة الحزب الكاثوليكيّ الفرنساويّ

ومن افضل هذه الصُّحف جريدة تدعى «الاونيڤير» كان انشأها الاب مين (Migne) الشهير سنة ١٨٣٣ للدفاع عن الدين الّا انهُ لكثرة اشغالهِ كان وكلَ امرها الى بعض الكتبة الذي لم يكسبوها سمعةً كبيرة ولذلك بقيت خاملةً لم يتجاوز عدد المشتركين فيها على ١٢٠٠ فكان الكاثوليك يبحثون عن كاتب ضليع يولّونهُ انشاءها فوجّهوا نظرهم الى الشاب ڤويليو وعرضوا عليهِ الامر فلبّى دعوتهم بطيب الخاطر كأنهم وقفوا على جلّ رغائبهِ فباشر بالعمل سنة ١٨٤٣ وثبت عليهِ مدَّة اربعين سنةً فاضحى الاونيڤير لسان حال الكاثوليك الصادقين الذين يقدّمون دينهم على كل شيء ويضحّون في سبيلهِ النفس والنفيس

فما مرَّ على المنشئ الجديد عدَّة اسابيع حتّى كان لصوتهِ صدًى في قلوب كلِّ مواطنيهِ ليس الكاثوليك فقط بل كلّ محبّي الانشاء الحرّ المتين فأقبل القرّاء على الجريدة رغبةً في استجلاء عرائس افكار ڤويليو والتمتُّع بآثار قريحتهِ حتى بلغ بعد مدَّة عدد المشتركين عشرة اضعاف ما كانت عليهِ قبلهُ

وكانت كتاباتهُ سيَّالة متقنَة تُعرب عن كلّ عواطف نفس محرّرها فينفخ في كلّ الصدور حبَّ الفضيلة وذويها والبغض لكل السيّئات والاشرار

واذ رأى ڤويليو كثيراً من الجرائد اللادينيَّة تصوّب صباح مساء نبالها الى الكنيسة وارباها لم يكتفِ بان يردّ سهامها بل شنَّ عليها الغارة وكشف عن سوءاتها وتتبّع كتابات منشئيها فبيّن بالتهكُّم اللطيف جهلهم الفظيع واغلاطهم الجمَّة في كل ابواب العلوم وفي حسن الانشاء حتى أضحك منهم كل قرّائهِ بل قرّاءهم فلم يسعهم الّا السكوت او التحامل عليهِ بالسباب فزاد انحطاطهم في اعين ذوي الذوق

السليم. فكانت نتيجة كتابات ڤويليو انَّ الدين علا منارهُ وكبا زند الكفر وذويهِ

وكان لويس ڤويليو اخذ على نفسهِ ما خلا الجهاد ضدَّ الكفرة الدفاع عن الكرسي الرسولي وتعاليمهِ. وكان كثيرون من الكاثوليك في فرنسة لا يزالون متشبثين بآراء سقيمة اخذوها عن المبتدعين كالجنسنيين والغليكانيين المدَّعين بامتيازات باطلة لكنيسة فرنسة فهؤلاء اعتبرهم ڤويليو كآفة لوطنهِ وتصدَّى لآرائهم الواهنة وكان بينهم بعض ارباب الكهنوت فثارت ثوائرهم وقاموا وقعدوا لمعاكسة الاونيڤير حتى ارادوا ان يحرّموا قراءتهُ على رعاياهم لكنَّ الكرسي الرسولي انتصر للجريدة ولمنشئها فذهبت مساعيهم ادراج الرياح وفاز ڤويليو فوزًا باهرًا رفعهُ في اعين اصحاب التعاليم السديدة

وكما اوقف ڤويليو عند حدّهم المعادين للكنيسة في الصحافة وفي مصفّ الاكليروس كذلك حاول الدفاع عن الحبر الروماني وحرمة الكرسيّ الرسولي بازاء ارباب السياسة وضابطي زمام الدولة نعم انَّهُ كان يحترم السلطة لعلمهِ بان كل سلطة من الله لكنَّهُ ابى أن يعترف بانَّ للسلطة المدنيَّة حقًّا بمناهضة السلطة الدينيَّة ومن ثمَّ لم يخف بان يصرّح بأفكارهِ بكلّ حرّية لم تأخذهُ في ذلك لومة لائم بل كتب فصولًا اسناء منها نابوليون الثالث فضايقوا على الاونيڤير بالمراقبة ووجَّهوا اليهِ الإخطارات لكنَّهُ كان يقول مع رسل المسيح: لا أقدر أن لا اتكلّم فالنار ولا العار. واذ رأوا ان تهديدهم لا يعمل في قلبهِ حكموا عليهِ بالحبس مدَّة شهر وبدفع غرامة باهظة. فخرج من حبسهِ مفتخرًا فرحًا بما نالهُ من الهوان لاجل الدين

ثمَّ عاد ڤويليو الى كتاباتهِ وكلُّها موسومة بسمة البراعة ووفرة المعلومات وخفَّة الروح والتفنُّن دون ان يغيّر في شي. خطَّتهُ وتراهة اقوالهِ حتى لم يجد نابوليون طريقةً لكسر شوكتهِ الَّا بتوقيف جريدتهِ مع الحَظْر على كل الجرائد ان تنشر مقالاتهِ. فبقيت الجريدة موقفة عدَّة سنين حتَّى اراد الامبراطور ان يتقرَّب الى الكاثوليك فسمح بنشرها فعاد ڤويليو الى تحريرها وخدم فرنسة خدماً لا يفي بها الشكر في اواخر عهد نابوليون ومدَّة المجمع الڤاتيكاني وفي اثناء حرب فرنسة والمانية ولم يمسح قلمهُ حتى تثاقل على اكتافهِ عبُ الايام فبقي كمستشار الجريدة ينفخ فيها

روحهُ الطيّبة كانهُ يعيش باقلام رصفائهِ ولاسيّما اخيهِ اوجان ولبني اخيه بيار وفرنسوا واختهِ اليزا

وقد كان موتهُ موت جنديّ باسل واذ شعر بقرب وفاتهِ كرَّر هذه الالفاظ « اني اقدّم لك يا ربّ حياتي كمحرقة لخير الكنيسة » وكان آخر ما كتبهُ في مرضهِ الاخير مقالة عن الكردينال پي صديقهِ ونصير الكنيسة مثلهُ

ولمّا توفي فويليو توّج موتهُ سخيمة كل معاديهِ فكانت الجرائد باجمعها لساناً واحداً في اطراء نفسهِ الشريفة التي لم تعرف غير الواجب وفي تعظيم خلالهِ الطيّبة وتراعهِ في الدفاع عن الدين وثباتهِ على خطّتهِ دون الاخذ بالوجوه . امّا مدحهم لبلاغتهِ وحسن انشائهِ فانهم اقرّوا بكونهِ نسيج وحدهِ في الكتابة الافرنسيّة . وقد أُقيمت لجنازتهِ حفلةٌ تقاطر اليها الناس من كل طبقات اهل باريس يتقدمهم الاساقفة وعلية القوم ووفود الجمعيّات الخيريّة وممثلو الصحافة والمبعوثون من مجلسي الامّة والاعيان والفقراء وكلّهم يثنون اطيب الثناء على فقيد وقف حياتهُ لمجد الله وخدمة الكنيسة وتنشيط كلّ اعمال الخير

٢ الكاتب

عرفتَ ممّا سبق ما كان عليهِ لويس فويليو من البراعة في الكتابة . على انَّ هذه الحسامة لم تأتهِ عفواً وقد رأيت انهُ ولد من اصل وضيع وتربّى في قرية لم تقتنِ مدرستها بشيءٍ يُذكر

ولما انتقل الى باريس أُودي تلمذةً في مكتب ديلا فيني بين رصفائهِ الشبّان . على انَّ كتبة ذلك العصر كانوا نهجوا لهم طريقة من الكتابة يغلب عليها الزخرف الزائد والتعبير القفر والمعاني المبتكرة الغريبة والالفاظ الدخيلة فيتحرّر اصحابها من قوانين الكتابة التي بلغت بكتبة القرن السابع عشر الى ذرى المجد

فجرى لويس فويليو اوّلاً على خطّة معاصريهِ لكنّهُ ما لبث ان رأى ما في هذه الطريقة من السقم والبهرجة الزائفة فعدل عنها واخذ يدرس بنشاط تآليف جهابذة قرن الآداب الافرنسيّة الذهبي كراسين وكورنايل وبوالو وبوسويت وفنيلون فتشنّف بمطالعتهم وصار يتعقّب آثارهم فتحسّن انشاؤهُ كثيراً بهذا الدرس

ثمّ تحقّق انّ هؤلاء الكتبة انّما بلغوا مقامهم الرفيع في الكتابة بدرس اللغة اللاتينيّة امّ اللغة الافرنسيّة واصل رونقها فكدّ جبينهُ واسهر عينهُ في حفظ قوانين تلك اللغة حتى اتقنها فأدّى بهِ الامر الى معرفة دقائق لغتهِ وخواصها حتى صار من افصح كتبتها لهُ البصر النقّاد في غثّها وسمينها

وكان مع تحسينهِ لانشائهِ يجهد نفسهُ في درس العلوم العصريّة لا سيّما تاريخ بلاده وآثارها. وخصّ زمناً طويلاً بمعرفة تاريخ الكنيسة والعلوم الدينيّة لئلّا يحيد في كتاباتهِ عن جادّة الحقّ. ولذلك تعمّق في الفلسفة وملحقاتها

وقد برّز لويس فويليو في جميع انواع الكتابة لهُ في كلّها مصنّفات مستملحة يدرسها اليوم ارباب الاقلام فيأخذهم العجب من محاسنها وصفاء لغتها وانسجام انشائها. ولهُ في الوصف اليد الطولى اذا اراد تعريف شخص او مكان او حادث يكاد يصوّرهُ تصوير البيان فينفذ كلامهُ في شغاف القلب. ومن حسناتهِ اوصافهُ الدقيقة للأخلاق فيميّز في كلّ قوم او بلد او شخص ما يفرزهُ عن غيرهِ فينطبع ذكرهُ في قلب القارئ فلا يعود ينساه

ولو اردنا تعداد كلّ مصنّفاتهِ الدينيّة والادبيّة والتاريخيّة والاجتماعيّة لأخذنا العجب من وفرتها وحسن سبكها وتدقيق كتبها في كل ابحاثها المتباينة

على انّ لويس فويليو مع شهرة تآليفهِ واجماع المنتقدين على محاسنها قد تفرّد في انشاء الصُحُف فانّهُ قد جمع في شخصهِ كلّ صفات الصحافيّ الحقيقيّ من معارف جمّة وسرعة خاطر وإرهاف قلم وذلاقة لسان وجرأة في الكتابة لا يثنيها غير صوت الضمير. وقد جمعوا عشرين مجلّداً من نخب مقالاتهِ اقتطفوها من جريدة «الاونيفير» يعدّها الأدباء من اجل الآثار الادبيّة والاجتماعيّة في القرن المنصرم

وكان لويس فويليو شاعراً مجيداً كما كان ناثراً بليغاً ولهُ القصائد الرنّانة التي تدلّ على سلامة ذوقهِ وجودة قريحتهِ وتفنّنهِ وكان لا يطلب في نظمهِ عذوبة الشعر وزخرف الالفاظ بل بلاغة المعاني وتنفيذ مقاصدهِ في القلوب على صورة النظم الرائق. وقد جُمعت هذه القصائد في مجلّدين عنون الواحد «بالافاعي» والآخر «بنات بابل» يقصد في كليهما تأديب كتبة زمانهِ المنافقين

ولهُ مع ذلك الكتابات والرسائل التي تستغرق عدّة مجلّدات وفيها لآلئ ثمينة

من الانشاء الطيّب ترى فيها ما كان عليهِ ذاك الكاتب من لطف الطباع ورقّة العواطف وقداسة الحياة. وقد وجّه تلك الرسائل الى كل مشاهير زمانهِ من اهل الدنيا والدين في سائر الامور السياسيّة والدوليّة والدينيّة والادبيّة . واطف منها كتاباتهُ الاهليّة لاصحابهِ واقاربهِ ولاسيما صغار عائلتهِ وعائلة اخيهِ اوجان وهو فيها ابلغ منهُ في كتاباتهِ الى كبار الرجال. ويا ليت الزمان يسمح لنا بتعريب شيء منها لرأى القرّاء علوّ مقام راقمها وادركوا سعة فضلهِ

المسيحي

كان لويس ڤويليو رجلاً عظيماً وكاتباً شريفاً. لكنّهُ مسيحي اعظم واشرف. فانهُ حقّق في نفسهِ كلمة الرسول المصطفى في رسالتهِ الى طيموثاوس الثانية: جاهد كجندي المسيح الصادق

نعم كان ڤويليو جندياً في كلّ حقيقة الاسم. فلهُ قائدهُ ولهُ رايتهُ ولهُ جهادهُ الشرعي الذي كلّلهُ الله بالظفر التامّ . وانّما كانت جنديّتهُ للملك يسوع اتّخذهُ قائداً وجرى تحت رايتهِ الجليلة

ومنذ كشف الله عن قلبهِ غياهب الضلال واشرق عليهِ نور دينهِ القويم لم يشأ خدمة غيرهِ وتجرّد عن كل ما سواهُ وفقاً لقول الرسول (٢طيم ٢: ٤): «ليس احد يتجنّد فيرتبك بهموم الحياة وذلك ليُرضي الذي جنّدهُ». ولم يشغلهُ عن جهادهِ همّ عائلتهِ فانهُ كان يعيش فيها بالهناء. وكل افرادها يجارونهُ في خدمة الله كقرينتهِ الصالحة التي عاشت معهُ سبع سنوات لم يكدّر شيء صفاءها وكبناتهِ الستّ اللواتي عشن للسماء منذ نعومة اظفارهنّ وقد قُطفت اربع منهنّ في حداثة السنّ كزهرات يانعات نُقلن الى نعيم الابرار ولهُ في موتهنّ الكتابات المؤثرة

واذ اعتبر ڤويليو نفسهُ كجنديّ المسيح اراد كالجنود ان يلبس بزّة قائدهِ. وليست بزّة المسيح سوى الفضائل الشخصيّة في الحياة الفرديّة والحياة الاجتماعيّة . وهذه الفضائل قد تلألأت بكل مجاليها في حياة ڤويليو

فانهُ قبل كل شيء كان يباشر نهارهُ بالدعاء الى الله ويختمها مع ذويهِ بالصلاة وكان لا يدع صغيرة او كبيرة من فرائضهِ الدينيّة مهما تراكمت عليهِ الاشغال وكان

اذا وجد له متّسعاً يسرع الى الكنائس فيقضي فيها الساعات في مناجاة ربّهِ وقائد فرقتهِ الجنديّة »

وكان ايمانهُ حيًّا يرى في معتقدهِ سندًا لحياتهِ وقوةً تبين مصائبهِ وحلًّا لكل مشكلاتهِ التي كانت ابهظتهُ قبل ارتدادهِ. وكان هذا الايمان منورًا مبنيًّا على درس عميق مستندًا على حسب قول بطرس الرسول للاحتجاج لكل من يسألهُ حجج الرجاء الذي فيهِ. وكان لا يخرج من هدوّ طبعهِ ودماثة اخلاقهِ الّا اذا رأى خصمًا يشتم دينهُ او يتحامل على معتقداتهِ فكان وقتئذٍ كالأسد الرئبال يحمي اشبالهُ فلا يقوم في وجههِ مناظر وقد نسب اليهِ البعض الخروج من حدود الوداعة المسيحيّة فيجيبهم: « انّ وداعة الجندي في ساحة الوغى انّما هي الضربُ الصادق ونصرة الحقوق الشرعيّة »

وكما كان يحبُّ ايمانهُ كان يحبُّ كلَّ ما يعزّز هــذا الايمان ولا سيّما الكنيسة المقدسة ورأسها المنظور الحبر الروماني ونائب المسيح. فكانت انظارهُ متّجهة الى رومية والى تعاليم خلفاء بطرس الرسول لعلمهِ بانَّ هناك الصخرة لا تقوى عليها ابواب الجحيم فيذعن بكل ثقة الى وصايا رئيس الكنيسة الاعظم ويدافع عن اوامرها ولو قام عليهِ العالم كلّهُ. ومع ما أتاهُ من الاعمال المشكورة في سبيلها كان لا يعدُّ نفسهُ الّا كاحد جنودها الصغار فيكرم ارباب الدين كآباء ويتبع صوت الاساقفة كالخروف صوت راعيهِ ما داموا مرتبطين بمركز الوحدة الرسوليّة

وكان حبُّ فويليو للكنيسة حبّ الولد الصغير لأمّهِ يجد بقربها فرحًا وراحة. فكان اذا حلّت بهِ داهية او نالتهُ الاضطهادات من قبل اعدائهِ اسرع الى رومية ليجدّد فيها قواهُ بمواجهتهِ إمام الاحبار بيوس التاسع الذي كان يعدُّهُ كأعزّ البنين فاذا رآهُ ضمّهُ الى صدرهِ وبارك اعمالهُ وانهض همّتهُ ونشّطهُ في مواصلة جهادهِ الطيّب واذا نالهُ اذًى من اعدائهِ ذكّرهُ كلمة الرب: « طوبى للذين يُضطهَدون لاجل البرّ » فيكفيهِ هذا الكلام الوجيز ليعود الى ميدان العراك بنشاط جديد

وكان فويليو لسبب حبّهِ للكنيسة وقف نفسهُ لخدمة كلّ ذويها واخصّهم الرهبان ولاسيّما الرهبانيّة اليسوعيّة فانّ مقالاتهِ العديدة التي سطّرها لمناهضة اعداء اليسوعيّين تُعَدُّ من ابلغ ما كتب في جريدة « الاونيفير » وهي تُعرب عن صدق

ودادهِ ومن معرفتهِ التامة لرهبانيتنا. ومن اقوالهِ الظريفة انَّ احد الصحافيّين اراد التهكّم برهبانيتنا فخلط في جريدتهِ بين القديسين اغناطيوس النوراني الانطاكي المستشهد بافتراس السباع واغناطيوس دي لويولا منشيء الرهبنة اليسوعيَّة فاجابهُ فويليو: « لقد صدقت فانَّ القديسين قد تشابها بموتهما لأنَّ كليهما أُلقيا الى الوحوش »

وكما احبَّ الرهبانيَّات تفانى في خدمة مصف الكهنوت والاكليروس حتى أنَّهم كانوا يلوذون بهِ في ما يلحقهم من المظالم او يُرمَون بهِ من المطاعن فيردّ كيد اعدائهم بقلمٍ احدّ من السيف

وكان حبُّهُ يشمل كل المحتاجين حتى انَّهُ مع فقرهِ كان يُحسن على ذوي البأساء بكرمٍ حاتمي. فكان اصحابهُ يلومونهُ على فعلهِ وينسبونهُ الى قلَّة الفطنة وتضحية صوالح بيتهِ فيعدهم بالاقتصاد لكنهُ ينسى وعدهُ بعد قليل اذ يتذكر قول سيّدهِ: لا تكنزوا لكم كنوزًا على الارض. وربَّما كان يحضُّ اصدقاءهُ على مشاركتهِ في صدقاتهِ فيأتسون بمثلهِ بل اتَّصل بهِ الحبّ الى أن ساعد غير واحد من الذين ناصبوهُ وعادَوهُ فصفح عنهم كمسيحي صادق وامدّ اليهم يد الإحسان من جملتهم واحد اسمهُ جاكو دي ميركور ثلم عرضهُ في الجرائد بطشهِ فلمَّا دار عليهِ الدهر وافتقر اسرع فويليو الى اعانتهِ بمالهِ فردّهُ الى الدين والتوبة ثمَّ زهد في الدنيا وصار كاهنًا ورحل الى البلاد الاجنبيَّة كرسل

وكان بودّنا ان نتتبَّع بقيَّة فضائل هذا الرجل الهمام لولا ضيق المكان فنكتفي بالقول انَّهُ حقَّق في نفسهِ قول الكتاب: « انهُ كان محبوبًا عند الله والناس فأَنالهُ الرب مجدًا كمجد القديسين وجعلهُ عظيمًا مرهوبًا عند الاعداء » . وسوف يبقى اسمهُ مباركًا لدى اهل الصلاح واحسن ما يُمدح بهِ هذه الابيات التي نظمها لتكتب فوق ضريحهِ وقد عرَّبها شعرًا اثنان من نجباء طلبة مدرسة البيان في كليتنا :

اجعلوا بالقرب منّي قلبي   وضَعوا المصلوبَ من فوق الجنانْ
وادفنوا ذا الشِّفر عند قدمي   واختموا قبري بشكل الأَطنانْ
فليَ المصلوبُ فخرٌ وعزاء

شيِّعوني بصلاةٍ للثرى   زيّنوا لحدي براية المسيحْ

ان أقمتم عند رأسي حجرا   فاكتبوا: آمنتُ بالدين الصحيحْ
ورأيتُ الله في دار البقا.

لستُ مَيتاً بل غريقٌ في الكرى   بعد ان انجزتُ سعيي بثباتْ
واذا شئتم فقولوا للورى: قد صحا من بعد ذلك السُباتْ
ورأى ما كان يرجو في العلا.

انني عبد لايسوعَ العلي   مفحمٌ في دينهِ كل العداة
وبهِ علّقتُ حبل أملي   لذا لم استحي منهُ في الحياة
فهو لن يخجل مني في القضا.

سليم الياس البستاني

قلبي ضعوهُ بجانبي   وعلى الفؤاد ضعوا الصليب
وضعوا على قدميَّ ذا   م التأليف فهو ابنٌ حبيب
ثمَّ اختموا قبري بلا   قلقٍ ورقّوا للقريب
حتى اذا صلّوا على   روحي الى الله المجيب
وكرّرتمُ في حفرتي   هذا الصليب دوا القلوب
وحفرتمُ فوق الصفيـ   ـحة إن يمنُ بها القريب
« آمنتُ ثم رأيتُ في   دار البقا امراً عجيب
قولوا : لويسُ والدَ   قد تمَّ مسماه الذيب
بل قد أفاق فشاهدت   ابصاره الحُلمَ الرقيب
فاتقد حصرتُ مؤملي   بيسوع فادي المُذنب
لم يَنْدَ وجهي من شرا   ئعهِ حياً بين الشعوب
هل يستحي بي عند وا   لدهِ لدى اليوم العصيب

سليم ابو رزق

كنيسة انطاكية على عهد الرسل

بحث تاريخي بقلم الخوري بولس سلمان

إن كان المرء يتفاخر بأوطانه وما تحلّت به من سهول فسيحة الاطراف. وهضاب مخضرّة الأكناف. وما يتدفّق في جوانبها من الجداول والانهار. ويرتفع في مناكبها من الجنّات الملتفّة الاشجار. ويتباهى بما حازته تلك الربوعُ من ابطالٍ أتوا برفيع الاعمال وسنيّ الفعال. مما خلّد لهم ذكرًا على تمادي الاجيال. ويعتز برجال العلم والفضل الذين شادوا البلاد ورفعوها الى ذرى العلوم والمعارف. ويُشرقُ محيّاهُ ابتساماً لرؤية ذلك العَلَم المتمايل مع النسيم الرفرف فوق الأمّة بساطع الوانه. فلقد يحقُّ لنا ان نهتزّ طرباً لذكر وطننا الروحي ومهد ايماننا الذي أُقيم فيه عرشُ بطاركتنا في الدهر الغابر يتسمّون باسمهِ وينتسبون اليه الى عهدنا الحاضر. ألا وهي كنيسة انطاكية الكبرى

وكم من رجال سطّروا مآثر كنائسهم واطنبوا في مديحها وكرروا تأريخها. فما احرانا بذكر آثار كنيسة انطاكية التي وطئت اعرافَ المجد والفخر وتوقّلت في معارج الحضارة والعمران حيناً طويلاً من الدهر فأنشأتْ قوماً من الابطال لا يحصى لهم عددٌ. وكأنّ الجيل الاول للمسيح يتمثّل امامنا ويجيء في خاطرنا ذكر احبارها ومؤمنيها وقديسيها وشهدائها الذين توّجوا ناصيتها بتاج العزّ والشرف. ثم تعاقبت عليها الايام فانحطّت عن منزلتها الاولى لما حدث فيها من افتراق الكلمة وتنازع الآراء في الدين مما دفع بها الى هوّة الخراب والبوار ولم يبقَ من مفاخرها القديمة الّا بعض ذكر. واذا احببنا ان ننشر في مقالتنا تاريخ الخمس والعشرين سنة الاولى من نشأتها واتساع مجالها ما بين اليهود والوثنيين. ونُبيّنَ ما كانت عليه مدينةُ انطاكية من حسن موقعها واختلاط الآداب فيها بين عبدة الاصنام وندوّنَ شيئاً عن حالة اليهود الساكنين فيها وكيف دخل الدين المسيحي فيها وغيّر الاهلين برفيع تعاليمه وسامي نواميسه وما طرأ عليه من المصاعب والاضطهادات الى ان استتبّ له الامر وانفرد المؤمنون عن المجامع اليهوديّة وأذعنوا لرئيس واحد يدبّر شؤونهم

ولا يخفى على المطالع اللبيب ما يحتاط ذاك الجيل من الظلمات الدامسة مما يخشى العثور فيها لقلة الآثار التاريخية الباقية من ذاك العهد على اننا دفعاً للوهم والضلال سرنا على مصباح الكتاب الوهاج واتخذنا دليلاً لنا من مشاهير المؤرخين الذين احاطوا باسرار التاريخ القديم وتبحروا فيما كانت عليه القرون الاولى فعدّوا من نخبة الكتبة لما هم عليه من قرب المورد وغزير المادة وطول الباع. فضلاً عن اننا استعنا بما نقله علماء عصرنا عن انطاكية الماضية وآثارها الغابرة مما يضمن لنا الهدى ويكفل لنا رضى اهل العلم ومحبي التاريخ فنقول:

ان من تصفح تاريخ الكنيسة منذ نشأتها واستقصى ما انزله الله في كتابه من الآيات العجيبة. وصنّفهُ غيره من المؤرخين الكنسيين راى انها لم تطو مراحل النمو والتقدم الّا بعد ان توالت عليها الاضطهادات اعواماً مديدة سالت في اثنائها دماء الشهداء المجيدين. دماء ارتفعت نفحات عرفها كالاريج الذكي امام عرش العلي. دماء سمت بالنفوس الى ذرى الكمال واقامت على الارض كنائس عظيمة حتى اجاد ترتليانوس حين قال: « ان دم الشهداء هو زرع المسيحيين ». ولا عجب في ذلك فان المخلص قد انبأ ان الاحزان والاضطهادات ستكون من بينات الكنيسة وادلتها. كما صرح عن نفسه بانهُ بالصليب يجلب الكل اليه. فان دم زعيم الشهداء استفانوس العظيم قد تحوّر بُغضاً وحسداً فردّ الى المسيح رسولَ الامم بولس الرسول. جرى فكان كمطر غزير سقى جناناً بعيدة وأنمى كنيسة ستصير اكبر الكنائس واغناها واوفرها قداسةً واسماها ألا وهي كنيسة انطاكية

في نشأة كنيسة انطاكية

لما اكفهرّ جوّ الكنيسة الاورشليمية وقام الرؤساء من اليهود يضطهدون الاخوة (١ رفع المؤمنون ابصارهم الى العلاء وعاينوا السماء تغشاها السحب السوداء

١) وكان من عداد اولئك المضطهدين رئيس الكهنة والصدوقيون الذين لم يذعنوا لكلام التبشير وفي مقدمتهم شاول الطرسوسي. ولم يترك الرسل اورشليم وهي على تلك الحال بل لبثوا فيها يشددون المؤمنين ويقوّونهم على احتمال الآلام بصبر الى ان مرّت سنة الثانية والثلاثون سنة الاضطهاد ولذا قال الكتاب تبدد الجميع ما عدا الرسل

وكأنهم رأوا بين تلك الغيوم يداً بيضاء، قد بدت تدعوهم الى غير تلك البلاد وكأنّ صوتاً ارتفع في ذاك الفضاء يقول: « الى انطاكية الى انطاكية » فهرب البعض منهم تبعاً لكلام المسيح صاعدين نحو الشمال (١ فألفوا امامهم بلاد الجليل وقد فتحت لهم ساعد القبول وسحبت فوقهم اكناف حماها الواسع الاطراف. ونزل غيرهم الى فينيقية وخاضوا عباب البحر الى قبرس ولمّا انتهى غيرهم الى ضفاف العاصي حاملين التعاليم الالهيّة والانوار الخلاصيّة قادهم النهر بين الحدائق والجنّات الى امّ المدن الشرقيّة الى انطاكية فادت هياكلها امام اولئك المرسلين الحقيرين. فلم يدخلوها كالفاتحين بسيوف لامعة وجنود وافرة. لم ينزلوا بها بطرف الفلاسفة وحكمة ارباب العلوم بأبّهة وإجلال. لم يتقدّمهم الطلبة كأصحاب التوسّل والانشاء. لم يطأوها بأعلام مزخرفة واناشيد مطربة بل دخلوا اليها كما علّمهم السيد له المجد بلا عصاة ولا هميان ولا فضة ولا ذهب. قال صاحب الاعمال: « وكان الذين تبدّدوا من اجل الضيق الذي حصل بسبب استفانوس قد اجتازوا الى فينيقية وقبرس وانطاكية وهم لا يكلّمون احداً بالكلمة الّا اليهود ولكن قوماً كانوا قبرسيين وقيروانيين فهؤلاء. لما قدموا انطاكية اخذوا يكلّمون اليونانيين مبشّرين للرب يسوع وكانت يد الرب معهم » (٢

وممّا ينجلي من الكتاب المقدّس ان القديس بطرس لم يكن دليلاً وقائداً لهؤلاء المرسلين الذين اتوا مدينة انطاكية اذ انهُ لبث في اورشليم يسكّن روع التلاميذ الى ان اصبحوا آمنين من الاضطهادات ثم رحل الى انطاكية وقضى فيها الايام الطوال يثبّت المؤمنين ويشدّدهم ويؤسّسهم على العقائد الراسخة. واقام في اثناء ذلك الشيوخ والعلماء ومنحهم السلطة لاقامة الكهنة وتكميل الناقص ورفعَ تلك الكنيسة على ارسخ البنيان. وان لم نجد ذلك في الكتاب الكريم فان التقليد الشرقيّ والغربيّ يؤيد رأينا ويؤكد ان القديس بطرس لبث في انطاكية حيناً من الدهر يبشّر فيها ممّا جعلها بعد توالي الايام بطريركيّة ولم يطلق ذاك الاسم في اوائل الكنيسة الّا على

١) قال صاحب الاعمال (٨: ١): « وحدث اضطهاد شديد على الكنيسة التي باورشليم فتبدد الجميع في بلاد اليهودية والسامرة »

٢) اعمال الرسل (١١: ١٩-٢٢)

الكرسي التي اسسها بطرس الهامة او بعض تلاميذه. وكفى دليلاً على ذلك قول القديس ايرونيموس حيث اختصر تعليم الكتائس بقوله:

« ان سمعان بطرس هامة الرسل بعد ان كان اسقفًا على كنيسة انطاكية ووعظ الذين آمنوا من اهل الختان الذين هربوا من الاضطهادات الى البنطوس وغلاطية وكبدوكية وآسية وبثينية في السنة الثانية لملك كلاوديوس (٤٢) وبعد ذلك قدم الى رومية ليطرد سيمون الساحر واقام هناك عرشهُ الكهنوتي خمساً وعشرين سنة » ١)

وقد يولي الدهش والحيرة: ما فعله القديس بطرس حين اختار تلك المدينة لتكون اماً للكنائس الشرقية ومهدهُ بما أنها وثنية محضة لكنّ افكاره كانت قد ثبتت بعد با رآه في مدينة يافا من السماط النازل من السماء (اعمال ف ١٠) الذي اعلمهُ ان الدين المسيحي هو لجميع البشر. ذلك مع ما كانت عليه اورشليم في ذاك الحين وهي زاهرة عامرة تتقلّب على مهاد الدعة والسلام آمنةً من طوارق الايام ونوازل الحدثان ويعتبرها اليهود كالمدينة الكبرى مثوى الرب يهوفا والدين الاسرائيلي

ولا شكّ ان ما دعا الرسول على هجر اورشليم الهامّ الهي اعلمهُ بمستقبل كنيسة انطاكية وما تصير اليه من التقدّم والعمران وما يحلّ باورشليم من المصائب والنكبات لما اقترفتهُ تلك المدينة من الآثام فهي التي قتلت الانبياء ورجمت المرسلين اليها بل حكمت بالموت على السيّد المسيح وقاومت الروح القدس ومع ما اجرى فيها الربّ من العجائب والآيات دامت قاسية القلب لم تُقِم لقولها ذكرًا ولا جعلت لتعاليمه وزناً.

وعلاوة على ذلك فقد كانت اورشليم محجورة على قمم الجبال اليهودية يحيط بها القفر الماحل من كل الانحاء. فلا تجد هنالك معين ماء يشفي الغليل ولا شجرة تبهج النظر. هناك الصخور الكثيرة الآكام المرتفعة مما يجعل المسالك متوعرة للمبشرين. فكانت لا تصلح للمواصلات العديدة التي يقتضيها الانجيل. فان الدين المسيحي

١) هذا نصهُ بالحرف Simon Petrus... princeps Apostolorum, post episcopatum Antiochensis ecclesiæ et prædicationem dispersionis eorum qui de circumcisione crediderant, in Ponto, Galatia, Cappadocia, Asia et Bithynia, secundo Claudii anno (42) ad expugnandum Simonem Magum Romam pergit, ibique viginti quinque annis cathedram sacerdotalem tenuit. (*De Viris Illustribus*, I.)

تناسبة مدينة عظيمة تنتشب منها الانوار دون مانع يعترضها الى العالم اجمع. فضلًا عن ان الشعوب الوثنية كانت تبغض اليهود ومدانئهم كما يشهد التاريخ فيما سطره اهل الادب من اليونان والرومان فلربما سمت نفس الى الدين المسيحي فصُرفت عن امانيها لما سمعت عن اورشليم محط رحال الدين الاسرائيلي وعاصمته

وصف انطاكية على عهد الرسل

نعم ان انطاكية كانت اصلح للدين المسيحي من اورشليم لما كانت عليه من العظمة والشرف وما حازته من المنزلة الرفيعة اذ غدت الوصلة بين المشرق والمغرب. هناك كانت ثروة الامم وغناها. هناك كان يجري نهرها العذب بين خمائلها الضافية الظلال منحدرًا من الشمال الى الغرب متقدمًا بين جبلي طوروس ولبنان وكان البحر قد قرنها بغيرها من سائر البلاد الغربية والبرّ قد ساق اليها تجارة المدن الشرقية. فما احلى تلك السفن البيضاء تمرّ كالنسر على صفحات الماء خائضة اليمّ سائرة اليها او جائية بالقرب من مينائها حيث كانت تسمع اصوات الملّاحين مرنمين ترانيم الافراح والمسرّات بسائر اللغات المعروفة في ذاك العهد كاليونانية والرومانية والفينيقية وغيرها واردين اليها من رومية واخائيا او من جزر اليونان او من صور وصيدا او بيبلوس (جبيل) وغيرها من المدن الشرقية

ومما اشتهرت به انها كانت محط القوافل العراقية والعربية والسورية وكأن المخيلة تطير الى تلك الايام الخوالي لترى الابل بقطارات البرّ واردات اليها او مناخة في وسط شوارعها وكأني بالاعراب يبيعون بخور بلادهم واهل العراق يتاجرون ببلح اراضيهم واهل الشام بأسلحتهم ومصنوعاتهم الخشبية المزخرفة. فهذه التشعبات والطرقات السائرة الى كل اطراف العالم القديم برًّا وبحرًا حملت العليّ على اختيارها وتفضيلها على مدينة اورشليم

وبقيت ارض انطاكية مجهولة عهدًا طويلًا في قديم الزمان لم يحلّ فيها اثر مع ما هي عليه من حسن الموقع وجمال الطبيعة. مرّ بها ملوك الارض ووطئوا اجبالها وسهولها ولم يلتفتوا الى رفيع علاها وصافي اديمها. مرّ بها ملوك نينوى وبابل ومادي وفارس يجرّون وراءهم العساكر العديدة ولم يقيموا لهم فيها حجرًا. مرّ بها فراعنة

مصر عائدين من غزواتهم او سائرين الى افتتاح البلاد ولم يُلقوا اليها نظرًا. مرَّ بها الاسكندر الكبير سائرًا نحو مصر ليبني له فيها الاسكندرية ولم تترك في خلده ذكرًا . وكان ذاك الشرف الاثيل خُصَّ باحد نوّابه سلوقس الظافر. ومن لطيف ما رواهُ التاريخ ان سلوقس المذكور رام يومًا ان يقيم لنفسه ذكرًا يبقى في حوافظ البشر لما نال من المجد في موقعة إيسوس (Ipsus) يوم تزاحم قوّاد الاسكندر لقسم ممالكهِ سنة ٣٠١ ق م فذبح ذبيحة للمشتري في انتيغونيا ('Αντιγονία) واذا بنسر ورد من السماء يرفرف وحمل جزءًا منها والقاها على جبل سلبيوس (Silpius) مشيرًا بذلك الى بناء انطاكية. فشادها القائد على اسم والده انطيوكوس (١

ولمّا احتلّ تلك الارض واقام له فيها قصرًا تزينهُ الاشجار وشُيّدت من بعده المنازل والقصور اضحت بعد ان تعاقبت عليها الاعوام دار الحكّام حتى غدت على ايام اغوسطس عاصمة الشرق كما كانت رومية قاعدة الغرب. وما كاد يبني فيها قصره حتى اتسعت ارجاؤها وانبسطت بيوتها على جبل سلبيوس فكانت انطاكية تعاين الشعوب تمرّ تحت اقدامها من تاجر وبائع وحامل سيف وربّ قلم واردين الى سمائها ليسكنوا بين اسوارها تحت ظلال حدائقها او وافدين اليها ليزوروا ابنيتها واحياءها الاربعة وقد وصفها سترابون احسن وصف حيث قال: « في الشمال الغربي بين الجبل والنهر توجد مدينة سلوقس نيكاتور التي بُنيت بادئ بدء. وفي جزيرة الماضي كانت مدينة كالينيكوس وعلى سفح جبل سلبيوس مدينة انطيوكوس ابيفانوس. وفي شرقي تلك الاقسام الثلاثة المدينة الرابعة تمتدّ من الوادي ثم ترتفع شيئًا فشيئًا. وكان سور عظيم قد احاط بها من النهر الى قمّة سلبيوس متعاليًا نحو قمم الأعلام متمشيًا سطح الجبال سائرًا بين النجاد والاغوار الى ان يحيط بها من كل الانحاء. واما ما نراه اليوم من بقايا السور فهو ما اقامه يوستيانوس على آثار السور

١) وكانت هذه العادة منتشرة في كل انحاء المعمورة يسمون المدينة او الشارع العظيم على اسم الملك او اسم مشاهير الرجال. وكان الملك سلوقس مولعًا باحياء مجد اسرته فلم يترك احدًا منها الا وشاد على اسمهِ مدينةً ولذلك قد بنى اللاذقية على اسم والدته. وافامية على اسم زوجتهِ. وسلوقية بناء انطاكية على اسمهِ. ولما انقضى اجله كان في سوريا ست عشرة مدينة باسم انطاكية وتسع باسم سلوقية وست باسم لاذقية

القديم. فدرجت الايام وهي تتسع وتمتد الى ان اصبحت تنازع رومية في الشهرة والغنى في الجيل الاول للمسيح (١

واذا وقف المسافر في رحب واديها يرمق الى منازلها وقصورها ويسرّح الطرف فيما شاده الانسان على سفوحها وما جادت به يد الطبيعة من غنيّ مواهبها بدت له كعروسة الشرق بين مائها ورياضها. هناك بين الشوارع الفسيحة والبيوت الجميلة كانت الصخور الجرداء تكسو الطبيعة حلة الجمال. هناك البساتين الملتفّة الاشجار الكثيرة الادغال على جوانب الجبل تجد المغاور الوسيعة والكهوف العميقة. هناك الأودية الوافرة الاثمار والمياه المتدفقة تتساقط على الصخور كالشلالات تريح الفؤاد وتبهج الانظار. هناك يعاين المرء ما عُهد به اليونان والرومان من اتساع الافكار في رسم مبانيهم والابداع في رفع مغانيهم فقد جمعوا فيها ما ألفوه في البلاد الشرقية والغربية من الغرائب واللطائف فقد شيّدوا في « ايبفانيا » عددًا وافرًا من الهياكل والمراسح والحمّامات والميادين والملاعب. وبالقرب من هذه الابنية كان الشارع العظيم الذي يقطع انطاكية من الشرق الى الغرب وطوله ستٌّ وثلاثون غلوةً (٢

وحسبُ الناظر ان يلقي بنظره الى المعابد العظيمة التي كانت تعلو الى السماء بكامل هندستها ورفيع اعمدتها ليدرك مفاخرها. فكانت النفوس ترتفع بارتفاعها الى ما دون الارض من المثاوي العلوية كما قال احد الكتبة الوثنيين. وكان المرء اذا احلّ الغمّ في قلبه يميل الى الشوارع حيث الاندية والمقاعد العموميّة فيقضي نهاره بين النزهات والالعاب يطوي الايام في التهاون والكسل. واذا اصبح مكروب الصدر كاسف البال هم يتساب الى الميادين علّه يفرج عن كربته. فيتمهّد الخيول تجري والفرسان تجول بين صراخ القوم واستحسانهم. واما من اترفته النعمة منهم واطغاه الغنى فتراه يختال أشرًا ويجرّ ذيل الطرب مرحًا بطرًا الى ان يفد الى ابواب المراسح

---

١) اتخذنا وصفنا هذا عن اشهر المؤرخين نخصّ منهم بالذكر اوتفريد موللير في كتابه عاديات انطاكية.. (Attfried Möller: *Antiquitates Antiochenae*) وهذا العالم قد نقل عن نخبة الكتبة الاقدمين لاسيا يوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي سطر كتابيْ الحروب اليهودية والعاديات اليهودية وفيلوستراتوس وليبانيوس الانطاكي الفيلسوف ويوحنا فم الذهب

٢ اي سبعة آلاف متر كما قال ديون الذهبي الفم Dion Chrysotome, *Or.*, XLVII

فيقف وقد اضناه التعب فيسرع الحارس ويحني له مفرقه خشوعاً واحتراماً فيدخل وقد ملأ الباب شخصه فيستند الى احد المجالس المعدّة يرنو الى اللاعبين وما يأتون به من سمج الاشارات وما يفوهون به من فاحش المقالات ويشاهد الراقصات بهيئة تخجل الانسان. وكان يتخلل تلك الملاعب الشبقة انغام تحرك الشاعر بشجي الحانها بحيث تهيج بها المخيلة وتعتز بها النفوس للينها وطلاوتها فكان الفتى يتعلم من والده اقبح الاعمال والفتاة تتلقن عن والدتها افظع القبائح . فهذا ما اتاه الدين الوثني وما يأتي به الانسان ان لم يكن منارًا بساطع الايمان. فكانت الايام تمرّ على تلك الحال الى ان يأتي زمن القيظ ووقدات الحرّ فتفتتح الحمامات لطالبي النعومة وذوي الرغادة. تلك حالة انطاكية الكبرى على ايام الرسل كما ذكرها المؤرخون المعاصرون

ولمّا اصبحت هذه الدائرة تتقاطر اليها جموع لا يأخذهم الاحصاء من كل مرتبة وكل جنس فأضحت محطّ القوافل وسوق الامتعة والبضائع. ومما اعان المدينة على الاتساع ما اتى به ملوك سلوقية من السُنن والاحكام السهلة بحيث ان من لبث فيها شطرًا من الدهر قصيرًا غدا من اهلها وسكانها يتمتع بحقوقها وامتيازات قاطنيها. وما كادت تلك القوانين تظهر لدى العيان حتى غصّت بالسكّان من اطراف العالم واضحى عدد سكانها على عهد الرسل خمس مئة الف قاطن. وارتفع شأنها من بعد فتوحات الرومان لسورية ودعيت قصبة اليهود الشرقيّة وصارت اقليماً تحت امارة السلطنة الرومانية فاقام الوالي هناك قصرًا يراقب احوالها وشؤونها . وجاء الناس من بعده من اهل السلطان وارباب الدولة وشادوا بيوتهم بالقرب من اميرهم في الجزيرة وكأنّ نسيماً هبّ نحو رومية يدعو عظماءها الى قاعدة سورية فوفد اهل العزّ والثروة وما لبثوا فيها حيناً قصيرًا حتى سُحروا بلطيف مناظرها فرفعوا مغانيهم في بطن واديها فتلاهم الترف وتبعهم الفساد والخلاعة فغدت شواطئ العاصي ارض العاصي (١ وغاب عن الاهلين حب الاوطان واضاعوا اخلاقهم وطبائعهم . ولا عجب ان تلك الرذائل انشأت غيرها كالطيش والمنازعات والطمع والكسل فكانوا كالريح في هبوبه لا يقرّ لهم قرار يديرهم الخطباء واللاعبات كما شاؤوا.

---

١) راجع شعر يوفنال في هجائه الثالث : (Juvenal: *Satira*, III, 62-66)

وبما كانوا يأنسون اليه من الالعاب واللذّات ما كان يجري في الميادين من الحرب والقتال حيث الخيول تتلوها الخيول وحيث الركبات تتبعها الركبات وتتنازع في مجال واسع الارجاء لنيل تيجان الظفر. وبقيت تلك الالعاب الى عهد الذهبي فمه فكم مرّة سمعناه يردعهم عنها فلم يقيموا لكلامه وزنًا ولا احدثوا له ذكرًا

ويا حبذا لو قام فيهم فلاسفة من اهل العلم والفضل يرشدونهم الى مسالك الفضيلة ولكن الفلاسفة كانوا يضارعون الشعب في غيّه وفساده فضلًا عن ان كهنتهم وارباب دينهم كانت لم تطمح نفوسهم الا الى الثروة والشرف. ومما يدل على سقوط الاهلين وذلّهم ما حدث في انطاكية على عهد اوغسطس فقد انتشر هناك طاعون اشتدّت وطأته وكثر فيه القتلى فرفعوا الى الآلهة اصواتهم واقاموا للاله كارون في اعلى سلبيوس صنمًا هائلًا يذكّرهم بالداء ولمّا غابت عواقبهُ غابت عن خلدهم آثاره فبقيت ظلاله تمتدّ على البيوت دون ان تترك في النفس ذكرًا

وطالما مدح المادحون هيكلها الشهير المسمى هيكل النار (Δάφνη) وهو يبعد عنها نحو ساعتين تمرّ الطريق بين الحدائق الغنّاء بين مياه تدعو المسافر الى التنعّم والرخاء. وكانوا في اعيادهم ومسرّاتهم يغدون اليه يقيمون فيه الحفلات الوثنية ويضربون بآلات العزف كالكنّارة والعود حتى قال ليبانيوس منهم: «كان الدين عندهم يقضي عليهم بالتدنيس والآثام وتَرْع ما بقي فيهم من الفضيلة والشرف» (١)

قدوم الرسل الاولين الى انطاكية

تلك حالة انطاكية من الدين والادب على عهد الرسل. وكان اسرائيل بين

---

١) ان هيكل النار واقع في الجنوب المائل الى الغرب وقد سُمّي اليوم «بيت الماء» لكثرة المياه فيه. وقد يسعى المسافر عبثًا ليجد هناك بعض الآثار القديمة فلا يجد شيئًا يُذكر على انهُ يلاقي هناك السهول الخضرة والطواحين الكثيرة. والقرية تمتد على سفح الجبل - وقد بنى سلوكس نيكاتور هيكل دفني - وقد جاء في الاساطير الاولين انّ دفني الفةً هربت من وجه ابولون فتحولت نحو شجرة غار في تلك الانحاء واختبأت فيها فاركلك دعي ذلك المحل ابيدفني Ἐπιδάφνη وكان هناك هيكل للاله ابولون وللالهة ديانة وللزُهَرة. وقد تعلّقت على عهد السلاطين الرومانيين ان وضعوا فيها من التماثيل ثم اصبحت بعد ذلك زاهرة بما أُقيم فيها من الكنائس المسيحية الكبيرة

تلك الفواحش الوثنية كالنهر الصافي يجري بينها دون ان يختلط ماؤه او يُعكر صفاؤه متمثلاً بعداب دينه القويم متوقفاً عن سنالات الامم بآداب شريعته مفتخراً بما اتاه من الوحي والالهام. وكان حائزاً على الانعامات عينها التي نالها يهود مصر على عهد البطالسة. ولقد استعان السلوقيون باليهود لما عهدوا بهم من السطوة والثروة في بلادهم. ولذلك قد نادوا لهم بالحرية التامة فاجازوا لهم الجري على سنن ابائهم دون معترض بمقرضهم واقامة الجامع وتشييد بيوت الصلاة طبقاً لمرائدهم. ولذلك اختاروا لانفسهم رئيساً من جنسهم قلّدوه زمام السلطة الروحية واقاموا له مساعدين جماعة من الشيوخ والعلماء وارباب الفطنة والنفوذ. ولما راى عدد وافر من الوثنيين ما ناله ذلك الشعب من الامتيازات الكبرى والانعامات الفريدة ووقفوا على سامي تعاليمهم ورفيع عقائدهم اخذوا يدينون بدينهم حتى اضطرّ انطيوكس ابيفانوس الى ردّ الاواني المقدسة التي سُلبت من هيكل اورشليم. ولقد زادت انعاماتهم على عهد الرومانيين لوفرة اموالهم وسطوة رايهم بين الشعوب

ولما قدم الرسل الى انطاكية وجدوا هناك نفوساً ظامئة الى التعاليم المسيحية وبعد القليل من الزمن انضم اليهم من كان بين اليهود صادق النية ينتظرون ورود المخلّص الموعود به من نشأة الادهار وتبعهم كثير من عبدة الاوثان ونشأت اذ ذاك كنيسة جديدة تمتاز باسرارها ورؤسائها عن الجامع اليهودية ولكن لم يتمَّ ذلك الّا بعد ان تعاقبت الايام الطوال جرى في اثنائها مباحثات عديدة انتصر فيها روح المسيح على اراء اليهود فيما يخص الطقوس والختان. ولما اتسمت وكثر مؤمنوها وفد الرسول بطرس اليها وجعلها امّ الكنائس الشرقية. ومما هو حري بالذكر انه غدا حبرها وقاندها واقام فيها انه نوّاباً من الشيوخ لترتيب الامور الداخلية والخارجية وهؤلاء الكهنة هم الذين وضعوا ايديهم على بولس وبرنابا. وبقي فيها الرسول زماناً غير يسير ثم رحل يبشر في آسية الصغرى

على ان الكنيسة التي تركها القديس بطرس نحو السنة الاربعين كانت كنيسة يهودية بطقوسها وترتيبها واعيادها واصوامها « لان الذين تبدّدوا من اجل الضيق الذي حصل بسبب استفانوس قد اجتازوا الى فينيقية وقبرس وانطاكية لم يكلموا

احدًا بالكلمة الّا اليهود »(١ بيد ان اولئك المبشرين تغيّرت افكارهم واخذوا يبشرون اليونانيين اذ رأوا القديس بطرس يعمّد الوثنيين ويثبتهم في مدينة يافا. قال صاحب الاعمال. « لكن قوماً منهم كانوا قبرسيين وقيروانيين فهؤلاء لما قدموا انطاكية اخذوا يكلمون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع وكانت يد الرب معهم »(٢

ولا ريب ان اليونانيين المذكورين في هذه الآية هم الوثنيون وليس الدخلاء. لان الدخلاء كانوا من عهد عتيق قد سمعوا كلام التبشير حتى ان احد الشمامسة المسمى نيقولاوس كان دخيلًا انطاكيًا. والقديس لوقا يوضح ذلك بالآيتين السابقتين في الاولى يبيّن ان المبشرين لم يكلموا الّا اليهود فقط وفي الثانية يقول انهم اخذوا يكلمون اليونانيين ايضاً. فضلًا عن ان الدخلاء كانوا يُعتبرون من عداد اليهود كما اجمع على ذلك أئمة المفسرين

فانتشرت الاخبار ووردت الانباء مشوَّهةً الى كنيسة اورشليم فادت واضطربت وتحدّث الشيوخ ورؤساء الكنيسة قائلين: لقد طأطأنا هامتنا بخشية واحترام لصوت بطرس الهامة ولم نَفُهْ بكلمة يوم بشّر للامم ولكن من اين اتخذ هؤلاء المبشرون سلطتهم ? من ارسلهم ليحرروا الامم قائلين لهم: « لا فرق بين اليهودي والوثني » أما تستحق كنيسة اورشليم الاكرام والاجلال ? فدلّت لهم نفوسهم واقرّوا الراي على ان يرسلوا مفتشاً من اهل الدراية والحكمة ليترصّد تعاليم هؤلاء المبشرين في انطاكية ويبعدهم عن غيّهم وضلالهم. فاختاروا برنابا رجلًا صالحًا ممتلئاً من الروح القدس وكان يوناني الاصل من قبرس. وكانت نعمة الرب قد غيّرت تلك النفوس وطمحت بها الى معارج الفضائل وسمت بها الى ذرى التقوى والعبادة فضلًا عن ان الروح القدس كان قد اجرى على ايديهم الآيات الباهرة وسكب عليهم غزير مواهبه. فلمّا قدم اليهم برنابا الرسول وتعهد بانظاره اثمار القداسة والكمال اطرأ سيّرهم واثنى عليهم الثناء الطيب وحثّهم على الرسوخ في الايمان. فكان لكلامه اجمل وقع واحسن تأثير في قلوب اليونانيين المرتدين(٣

١) (اعمال الرسل ١١: ١٦)

٢) اعمال (١١: ٢٠-٢١) ٣) اعمال (١١: ٢٢-٢٤)

برنابا وبولس الرسول في انطاكية

وبينما كان الوثنيون يتكاثرون ويرتدُّون الى الدين المسيحي تذكَّر برنابا ان الذي اختاره الله ليكون رسول الامم هو في طرسوس يقضي أيامه بالعزلة والانفراد منتظراً صوت الرب ليسير حيثما يدعوه · فسار اليهِ الى طرسوس واتى ببولس الى انطاكية يسلّم اليه تلك البلاد وبقيا معاً سنة كاملة · وكان موضع وعظها في منتصف المدينة في الابيفانيا · قال ذهبي الفم: « بينما كانت الجموع تسعى وراء اللذّات في الهياكل المراسح كان صوت الرسول بولس يرتفع نحو السماء كرعد قاصف امام جموع لا يكاد يُحصى لهم عدد » · فمن لنا بلسان الذهبي الفم ليصف لنا بلاغة القديس بولس وفصاحتهُ في فنّ الخطابة فكان له كلام عذب سائغ سديد المنهج مُشرق المعاني · فاذا تكلم ملك العيون والاسماع واسرّ القلوب والافهام فيخطب والبلاغة تتدفّق من فمه والادلّة تجري مجرى السيف الباتر وكفاه مدحاً قول بعضهم: « هو الخطيب المصقع لا يجاريه احد في فنون الكلام بما يبديهِ من البيّنات السواطع والحجج القواطع »

ولم يقضِ الرسول في انطاكية تلك السنة الّا ليتهيأ بالصلاة وتلاوة الكتاب للتبشير والانذار وكان في غضون ذلك يدرس اخلاق الاهلين من يهود ويونانيين ليكون سهمهُ صائباً في مباحثاتهِ معهم · وقدم في ذلك العهد انبياء من اليهودية ليستعطفوا القلوب ويحملوا الصدقات من انطاكية الى كنيسة اورشليم · والنبيّ هنا يدلُّ على الناس كان الله يلهمهم الوعظ والارشاد وربّما اوحى اليهم معرفة المستقبل ولقد عُدّت تلك الهبة من ارقى المواهب واسماها التي وزّعها الروح القدس على المؤمنين واذا قال الرسول بولس الى اهل كورنثس في رسالتهِ الاولى: « اتبعوا المحبة وتنافسوا في الروحيات وبالاحرى في ان تتنبّأوا فان الذي ينطق بلسان لا يكلّم الناس بل الله اذ لا يسمع احدٌ غير انهُ بالروح ينطق باسرار · امّا الذي يتنبأ فيكلم الناس بكلام بنيان وموعظة وتعزية · الناطق بلسان انّما يبني نفسهُ اما الذي يتنبأ فيبني كنيسة الله · أُحبّ ان تنطقوا جميعكم بالسنة ولكن بالاحرى ان تتنبأوا لانّ الذي يتنبأ اعظم ممّن ينطق بالسنة » (ف١٤ ع١—٥) · فاستقبلتهم كنيسة انطاكية بما يليق بمقامهم من الاكرام والاجلال ·

ولمّا أُقيمت الصلوات قام احد الانبياء وهو المسمى اغابيوس وانبأ بالروح ان ستكون مجاعة شديدة في جميع المسكونة وبيَّن ما سيحلّ بكنيسة اورشليم من النكبات ان لم يَمُدَّ اليها احد يد الاحسان. وكان المؤمنون في اورشليم قد باعوا املاكهم لإغاثة الفقراء والملهوفين واصبحوا محتاجين الى صدقات ارباب الكرم والفضل « فعزم التلاميذ بحسب ما تيسَّر لكل واحد منهم ان يرسلوا خدمة الى الاخوة الساكنين في اليهودية ففعلوا ذلك وبعثوا الى الشيوخ على ايدي برنابا وشاول » (اع ١١ : ٢٩)

ولما انتهى الرسولان الى اورشليم حاملَين ما جادت به كنيسة انطاكية وجداها في حالة الذلّ والهوان لما أُنزل بها من الاضطهاد الشديد هيرودس اغريبا. فان هذا الملك توصّل بمكره ودهائه الى أَسر قلب الملك كاليغولا فاصاب منهُ ملكاً واسع الاطراف كان يسود عليه هيرودس انتيباس وفيلبوس وغدا مقرَّباً عند السلطان كلوديوس فنال مُلكاً يضارع ملك هيرودس الكبير. واستخدم الخديعة لاستجلاب اليهود اليه فاقام عرشه في اورشليم وتطوّع لعوائدهم في كثير من الامور. وكان لا يألو جهداً في رضى الشعب مستحلًّا ما لا يستحلّهُ الدين والعقل قال الكتاب: « والقى الايدي على قوم من الكنيسة ليسيء اليهم وقتل يعقوب اخا يوحنا بالسيف ولمّا رأى ان ذلك يرضي اليهود عاد فقبض على بطرس ايضاً. وكانت ايام الفطير (اعمال ف ١٢ ع ١—٤) ». وكان الزوّار يتواردون من اقطار الدنيا لعيد الفصح ورام ان يقف امامهم موقف القبول والرضوان بقتله هامة الرسل على ان سعيهُ قد ذهب ادراج الرياح فان الملاك خلّص الرسول من السجن. ومات الملك اشنع ميتة جزاء تعديه على الكنيسة المقدسة (١

وملك من بعده الولاة الرومانيّون بما عهدوا به من العدل والانصاف وكانت كلمة الرب تنمو وتنتشر. ولما ساد السلام التامّ رجع بولس وبرنابا الى انطاكية وفي نفسهما الحسرة والكآبة على الكنيسة الاورشليميّة لما وجدوا فيها من التعلّق الشديد بالرسوم والطقوس الموسوية حتى ان الرؤساء فيها وجماعة الشيوخ كانوا يقولون:

١) ذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي في كتاب العاديّات اليهوديّة ، Antiquitates (XIX, 8, 2°) ان الرب ضربهُ لكبريائهِ. قال صاحب الاعمال (ف ١٢ ع ٢٣): « ضربهُ ملاك الرب لانهُ لم يعطِ مجداً لله فاكلهُ الدود واسلم الروح »

لا خلاص لمن لا يختتن . امَّا كنيسة انطاكية فكانت تسرح طرفها نحو العالم باسره لتملك الجميع الى المسيح . ومن اشهر رعاة كنيسة انطاكية سيمون الملقب بالاسود ولوقيوس القيرواني ومناين الذي تربَّى مع هيرودس رئيس الربع وشاول (اع١٣: ١)

ولم يكن الرسول العظيم قد نال نصيباً من الرسامات الكنسيَّة (١ بين هؤلاء المعلمين والانبياء . بل كان ينتظر بصبر عجيب ذاك اليوم السعيد ولا ريب انهُ حدَّث رعاة الكنيسة من دعوته المقدسة وان العلي اصطفاه ليكون رسول الامم وانبأهم بما كان يرُّ في خلده من العزائم وما يضطرم في فؤاده من الغيرة وما اعدَّه الله المستقبل من الاتعاب والمشقات لخلاص الامم . على ان رؤساء الكنيسة الانطاكية كانوا يتوقعون قدوم الرسول بطرس ليعرضوا عليهِ فضائل القديس بولس ويضع يده عليهِ ليرفعهُ الى اعلى مقامات الشرف في الكهنوت اي الاسقفية . فطال الزمان الى ان وافت اعياد عظيمة كان يتقدَّمها الصوم والصلاة كما ذكر القديس لوقا . وبينما كانوا يقيمون الذبيحة الالهيَّة اذا بصوت الروح القدس قد ارتفع قائلاً : « افرزوا لي شاول وبرنابا للعمل الذي دعوتهما اليهِ فصاموا حينئذٍ وصلّوا استعداداً لذلك الامر الرهيب ووضعوا ايديهم عليهما » (اعمال الرسل ف ١٣ ع ٢–١) . ولقد حفظت لنا الآثار الرومانية صورة رسامة جرت في الاجيال الاولى للمسيح فانّا نعاين في تلك الرسامات الاسقف جالساً على عرش مرتفع والشعب يحيط بخشوع واحترام . فيتقدم الكاهن وفي يده درج سُطِرت عليهِ صفات المرشَّح وفضائلهُ فيقرأها بتؤدة ووقار . واذا انتهى من تلاوتها يميل الاسقف طرفهُ الى المؤمنين ويسألهم قائلاً : هل هو اهلٌ لهذه الرتبة العظيمة . فيهتف جمهور الحاضرين هو اهلٌ لها : "Ἄξιος" . ويردد السؤال ثلاث مرات . ثم يجثون بالصلوات البديعة ليستنزلوا بها نعم الروح القدس على المرء المصطفى . ويضع الاسقف يده عليهِ ويتلو صلاة الرسامة ثم يلقي عليهِ حلَّة الكهنوت والاسقفية بينما يهتف الجميع بصوت جهور "Ἄξιος" اي انهُ اهل لها . ولا يبعد ان تكون جرت على تلك الصفة رسامة القديس بولس وبرنابا في صورتها الجوهريَّة في كنيسة انطاكية وبعد ان نالا نعم الروح القدس بالرسامة رحلا للتبشير

١) هذا رأي لبعض الكتبة ويرجّح غيرهم رسامة بولس قبل ذلك لمَّا جاء الى اورشليم بعد ارتداده (المشرق)

وسار الرسولان يبشران في قبرس وبمفيلية وانطاكية بوسيدية وليكاونية ثم عادا الى انطاكية سورية ليريحا النفس مما عانياه من التعب والشدة في البلاد التي وعظاها. وكانت انطاكية من عهد بعيد ملجأ للشريد ومعقلاً للطريد. وكان اليهود القاطنون فيها آمن اليهود المتشتتين في آسية الصغرى. والسبب في ذلك ان آل اسرائيل اذا نزلوا في بلاد وألفوا امامهم أمة متوحشة احتقروها وآثروا الانفراد متشامخين متكبرين واذا وجدوا شعباً ممتازاً بعلمه وآدابه خفضوا لهم رؤوسهم خجلاً واحتراماً. على ان مدينة انطاكية كانت من المدن الراقية في المدنية والعمران تزينها المكاتب المتنوعة والمدارس المختلفة. وكان يهود الشتات قد تركوا تلك السنن الفريسية التي كانت تتشبث بها مدارس اورشليم فضلاً عن انهم كانوا اهل تجارة يسعون في تحصيل الرزق وحشد الاموال غير مبالين بما تعلمه المجامع من تطهير الايدي والجسم لمخالطة الامم وربما اضطروا الى الامر بما كان يحول دون تلك السنن من العقبات. وكانت مدرسة الاسكندرية قد نشرت عقائدها المسماة بالرموز واصبح العدد الكبير يعد تلك الشرائع رموزاً لا فائدة وراءها. حتى ان الختان عاد عند البعض منهم كلا شيء.

نزاع كنيسة انطاكية بسبب الرسومات الموسوية

وكان علماء الناموس في اورشليم يخشون على هؤلاء المتشتتين بين الامم فكانوا يرسلون الرسل الى المعمورة كلها ليحضوهم على حفظ النواميس الموسوية ولهذا قال السيد يوماً للفريسيين (متى ٢٣: ١٥): «الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون فانكم تطوفون البر والبحر لتجلبوا لكم دخيلاً واحداً فاذا حصل صيرتموه ابن جهنم ضعف ما انتم عليه». ولما جاءت الاخبار الى اورشليم بأن الرسول بولس قد ضم اليه بالتبشير عدداً وافراً من الوثنيين والدخلاء. وعلمهم بان تلك الرسومات الموسوية لا طائل وراءها بل انما هي أحمال شاقة لا طاقة للانسان على احتمالها ارسلوا بعضاً منهم ليجسوا الاخبار ويتعهدوا بانظارهم ما كان يجري في كنيسة انطاكية. فقدموا من اورشليم كالجواسيس وقد سماهم الرسول «الاخوة الكذبة الداخلين زوراً ليتجسسوا حريتنا التي نحن عليها في المسيح يسوع». فانسابوا كالذئاب بين المؤمنين واخذوا

يسمعون بصمت وحشمة تعاليم الشيوخ والرسول بولس . ثم دفعتهم غيرتهم الكاذبة فاصبحوا يعترضون على تعليم الرسول في السرّ والجهر قائلين: ان لم تختتنوا على سنّة موسى فلا خلاص لكم . فاستعرت نيران البحث والمجادلات وكان الرسول يتكلم بما طُبع عليه من سديد الحجّة وقوي البرهان . فلم يكترثوا لكلام احد من ارباب العلم في انطاكية وحدث لذلك قلق واضطراب بين المؤمنين فلم يجدوا بدًا من الالتجاء الى هامة الرسل المقيم في اورشليم . قال الكتاب (اعمال ١٥ : ١—٦): «وانحدر الى انطاكية قوم من اليهودية يعلّمون الاخوة قائلين: ان لم تختتنوا على سنّة موسى فلا تستطيعوا ان تخلصوا» . واذ جرت لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة معهم غير قليلة رسموا ان يصعد بولس وبرنابا واناس آخرون الى اورشليم الى الرسل والكهنة من اجل هذه المسئلة . فهؤلاء بعد ان شيّعتهم الكنيسة اجتازوا الى فينيقية والسامرة يحدثونهم بتوبة الامم . ولما قدموا اورشليم قبلتهم الكنيسة والرسل والكهنة بالبشاشة واللطف . ولبثوا زمانًا قصيرًا يمدّون الخواطر ويهيئون الافكار ويظهرون ما صنعهُ الله من الآيات بين الامم الى ان التأم المجمع الاورشليمي في سنة اثنتين وخمسين للمسيح وبعد بحث طويل اقرّوا الراي على ما علّمهُ القديس بولس ان لا حاجة للختان والرسومات الموسوية . وسطّروا كتابًا قالوا في خاتمته: « قد رأى الروح القدس ونحن ألّا نضع ثقلًا فوق هذه الاشياء التي لا بدّ منها وهي ان تمتنعوا مما ذُبح للاصنام ومن الدم المخنوق والزنى فاذا صنتم انفسكم من هذا احسنتم فيما صنعتم . كونوا معافين » . وزاد على ذلك القديس بولس في رسالته الى اهل غلاطية: « ولما عرفوا النعمة الموهوبة لي مدّ يعقوب وكيفا ويوحنا المعتبرون كأعمدة اليّ والى برنابا يمين الشركة لنكون نحن للامم وهم للختان (غلاطية ٢ : ٩—١٠) وعلى عهد واحد ان نتذكر الفقراء وذلك قد اجتهدت في انجازه » . وسنراه يجمع الصدقات من رومية وانطاكية وكورنتس ومن الكنائس التي بشرها ليرسلها الى اورشليم

ولقد جرى في كنيسة انطاكية حادث نال اهمية كبرى وقطع المنازعات الى دهر طويل وامد بعيد وذلك انّ بطرس الرسول جاء الى انطاكية وتعزّى بما عاين من نجاح تلك الكنيسة ونموها واخذ يأكل ويشرب مع الاخوة دون ان يميّز بين الاطعمة وبقي على تلك الحالة الى ان اتى يهود من كنيسة اورشليم واخذوا يعلّمون

سرًا بان لا بد من حفظ الرسومات الناموسية . فتنحّى الرسول بطرس عن الاخوة الذين من الامم وتبعهُ سائر المتنصّرون من اليهود وكاد يصير اضطراب لاجل هذا الانقسام لولا ان الرسول بولس تدارك الخلل وأوقف مجرى الامور بصائب رأيه. قال في رسالتهِ الى اهل غلاطية: « لما رأيت انهم لا يسيرون سيرًا مستقيمًا الى حقّ الانجيل قلتُ لكيفا امام الجميع: ان كنت انت مع كونك يهوديًا قد عشتَ عيش الامم لا كاليهود فلِمَ تلزم الامم ان يسلكوا مسلك اليهود ». فاطمأنت الافكار ورضي بطرس برأيهِ وعادت المياه الى مجاريها وانتهى الخلاف بين الامم واليهود وانقطع النزاع وارتدع المرسلون الاورشليميّون ولم يعودوا يظهرون في انطاكية

حالة كنيسة انطاكية الاولى وهيئتها وطقوسها

ذكرنا شيئًا عن حالة انطاكية ونشأتها وما طرأ عليها من التغيير في خمس وعشرين سنة على ايام الرسل ولم نسطِّر ما كان عليهِ المؤمنون من الحياة الداخلية مما يعذُب ذكره وايرادهُ . فمن اجلّ النعم التي وزّعها المولى على تلك الكنيسة الانطاكيّة هي نعم الروح القدس . وقد بدت تلك النعم على ذلك الجيل بجليّ بيانها وساطع سنائها فيُزتهُ عن سائر الاجيال . فان المعزي الموعود بهِ اظهر افعالهُ العجيبة وسلطانهُ الرهيب بما كان يجريهِ من الآيات الساطعة والعجائب الباهرة كالنبوءات والنطق بالألسنة وشفاء المرضى مما تحار عندها الافهام وقد تمّت في ذلك العصر نبوّة المسيح حيث قال : « وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي ويتكلّمون بالسنة جديدة ويحملون الحيّات وان شربوا شيئًا مميتًا فلا يضرّهم ويضعون ايديهم على المرضى فيتعافون » . (مرقس ١٦ : ١٧—١٨)

واذا نظرنا الى هيئة تلك الكنيسة ورؤسائها اخذنا العجب اذ نعاين شيوخًا يسوسونها ويهدّبون المؤمنين فيرقّونهم في معارج التقدم والكمال المسيحي . ولم تنل تلك الكنيسة الانطاكية في اوّل امرها اسقفًا واحدًا ينفرد بسلطتهِ دون غيره لاسباب كثيرة منها ان نظام الكنيسة وترتيبها انما اتخذوه في بادئ الامر عن المجامع اليهوديّة ولم يفترقوا عن الهيئة الاسرائيليّة الّا بعد حين . فضلًا عن ان اليهود كانوا يأنفون من اعطاء السلطة والرئاسة لرجل يوناني وكان اليونان لما هم عليهِ من الانفة

وعزّة النفس يأبون ان يذعنوا لرجل اسرائيلي . فحسماً لكل منازعة تنشأ عن الكبر والحسد ضبط القديس بطرس نفسهُ ازمّة الكنيسة الانطاكيّة فكان هو اوّل اساقفتها على ما ذكر اوسابيوس في تاريخهِ وايرونيموس وغيرهما . وبقي على رئاستها الى ان دعاهُ الله الى انشاء الكرسيّ الروماني فعهد الى اڤوديوس تدبيرها فكان اوّل اسقف عليها بعدهُ . ثمّ خلفهُ اغناطيوس النوراني الشهيد . وكان يساعد الاسقف في مهمّتهِ جماعة من الكهنة والشيوخ مشهورين بالحزم والفطنة وحسن السيرة وصحيح التعاليم وهم يذعنون لراعي كنيستهم في كل شيء .

ولقد تصبو النفس الى معرفة طقوس المؤمنين الاولين في صلاتهم وما كانوا يتغنون بهِ من التضرعات والتوسلات . وكان اليهود اذا وقفوا للصلاة غطوا وجوههم تواضعاً واحتراماً امام العزة الالهية والرب الصباؤت . واما اليونانيون فكانوا في وقت الذبيحة فقط يغطون عيونهم لئلا يعترضهم شيء مشؤوم وفي وقت الصلاة يكشفون رؤوسهم . ولربما كان النوعان من الصلاة يستخدمان في كنيسة انطاكية الا ما ادخلتهُ الخرافات الوثنية من تغطية العيون وقت الذبيحة . ولم يكن هناك طقس مخصوص بالصلوات الا ما ورثوه من المجامع اليهوديّة ولم يغيّروها الا مع تمادي الزمن فكانت الحفلات الدينية تستهلّ بترنيم المزامير على انغام معهودة ثم تتلوها قراءة الانبياء العظام . ولا ريب انهم ابدلوا ذلك بتلاوة انجيل القديس لوقا في كنيسة انطاكية ويا حبّذا لو ابقى لنا الزمان تلك التراتيم والحانها . ومما هو حري بالذكر انّ المؤمنين كانوا ينظمون التسابيح اللطيفة ينشدونها في بيوتهم ثم بعد طول الزمن اخذوا يرتلونها في المجامع وفي الكنائس . ولا مراء انهم كانوا يؤثرون صلاة الرب على غيرها فيرددونها في بدء العالم كلها ونهايتها . ولقد روى لنا الدهر صلاة بديعة يرتقي عهدها الى اواخر الجيل الاول ربما كانت تُتلى في كنيسة انطاكية وهي : « مبارك انت ايها السيد الهنا الاه آبائنا ابراهيم واسحاق ويعقوب الاله العظيم القادر على كل شيء الرهيب المتعالي الموزّع النعم والمواهب والمرسل الفداء لاولاد ابنائنا لتمجيد اسمك واظهار عنايتك . انت المتسلط الى الابد انت مقيم الموتى براحمك الغنيّة تعين الساقطين وتشفي المرضى تخلص المسجونين وتحفظ عهودك للذين يرقدون رقدة الابد . من مثلك يا الله من يضاهيك قدوس انت يارب قدوس هو

لمسك والقديسون باجمعهم يمجدونك وهم في السماء يرنّمون قدوس قدوس قدوس هو الرب الاله القوات كل الارض مملوءة من مجدك ». ومثلها بعض الذكسولوجيّات التي رتّبتها المجامع الاولى الى عهد الرسل (راجع رسالة القديس بولس الاولى الى طيموثاوس ١ : ١٧)

ومن اجلّ الصلوات واسماها كسر الخبز اي الذبيحة الالهيّة التي كانوا يقيمونها عند غروب الشمس كل يوم في حجرة مرتفعة مزخرفة بالفرش وادوات الزينة منارة بالانوار الوافرة واسعة الارجاء ممتدّة الانحاء. وربّما كانوا يقدّمون على . وكان لتقديم الذبيحة نوعاً من الولائم دعوها بالمحبة (Αγάπη) فكان المؤمنون يأتون بطعامهم ويلتئمون جماعات جماعات ويأكلون معاً. وبعد تلك الوليمة الاخوية كانوا يصعدون الى العلية حيث تقام الذبيحة الالهيّة. ثمّ فُصلت هذه الولائم عن الذبيحة

ولو طرنا بالفكر الى هاتيك الازمنة وتعهّدنا اولئك المؤمنين لرأيناهم قبل الذبيحة يذرفون الدموع السخجة ويستصفحون المولى عن مآثمهم . لشاهدناهم رافعين ايديهم نحو السماء وعيونهم شاخصة الى العلاء. ولقد مثّلوهم في الدياميس بالمصلّيات (Orantes). وكان صوت الكاهن يرتفع من بين الجمع بالوقار والاحترام ويهتف قائلاً والشعب عن رأسه بخشية وتواضع: ان الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها اخذ خبزاً وشكر وكسر وقال: خذوا فكلوا هذا هو جسدي الذي يكسر من اجلكم. وكذلك الكأس من بعد العشاء. هذه هي الكأس العهد الجديد بدمي. وفي نهاية الذبيحة الالهيّة يتقدم المؤمنون نحو الكاهن لقبول جسد المسيح مصلّبين يديهم فيضع في يدهم اليمنى خبز الملائكة فيتناولون ثم يشربون كلهم دم المسيح من الكأس المقدسة. وكثيراً ما كانوا يقيمون تلك الحفلات بأبّهة واجلال ايام السبوت والاحاد وايام الاعياد الكبرى كعيد الفصح وعيد العنصرة

فمن يسطر لنا ما كان عليه اباؤنا من الفضائل المسيحيّة فانهم كانوا يقتفون آثار معلّمهم الرسول بولس حيث علّمهم ان يكونوا « خداماً لله في الصبر الكثير والضرورات والمشقّات والطهارة والعلم والاناة والرفق والمحبة بلا رياء » حتى كان الوثنيون يعجبون منهم ويقولون: انظروا كيف يحبّون بعضهم. فكيف لا نهتمّ

طرباً لما كان عليهِ اولئك المسيحيون ابطال كنيستنا الانطاكيّة. وكيف لا نقتفي آثارهم اذ الحقُّ يقال:

الابن ينشأ على ما كانَ والدهُ ان الغصون عليها ينبتُ الثمرُ

فبعد ان رمقنا الى اصل كنيستنا وما طرأ عليها من التغيير والاحداث ورأينا ما كانت عليهِ قبل ميلادها وما صارت اليهِ بعد عمادها نعد بالفكر الى اورشليم فكأني بها شيخة هرمة فبعد ان تقدَّمت في ايامها ولم تستطع الى الولادة سبيلًا هجرت بنيها والقتهم من على ذراعيها فاختار الله للشرق اماً في ريعان شبابها ألا وهي كنيسة انطاكية فغدت كالمحور عليها تدور الكنائس الشرقيّة وكأن القديس بولس والرسل العظام يخرجون منها كأنهر عدن يحملون الخصب والنمأ في كل ارض يطأونها. فهناك سُمي المؤمنون لاول مرة مسيحيين (اعمال ١١: ٢٦) ولربما دعوا كاثوليكيين لأول مرة فيها ايضاً لان القديس اغناطيوس الشهيد الانطاكي هو الذي ذكر ذاك الاسم قبل غيرهِ في كتابهِ الى اهل ازمير

فهنيئاً لكِ يا كنيسة انطاكية هنيئاً لكِ يا مدينة المرسلين والمبشرين مدينة الشهداء والآباء القديسين وقد مرَّ عليكِ عشرون جيلًا وانتِ تحملين في احضانكِ الابرار والقديسين وقد قدَّمت للعلي في عصرنا الحاضر شهداء الاضطهادات والآن هم بالقرب من الحمل الطاهر يرفعون احزانكِ الى المولى حتى تعود اليكِ مفاخركِ الاولى وتصبحي قرَّة العين امام الرب العظيم. وها ان ابناءكِ ينظرون اليكِ بعين الحنوّ والانعطاف. لترتفعي الى دار السماء والى ارض النعيم. هناك الافراح هناك المسرَّات

اثر مدفن سوري قديم

للاب سبستيان رونزڤال اليسوعي

ترى هنا صورة اثر قديم وجد منذ عهد قريب في سوريَّة في مكان لم يشأ صاحبهُ بتعريفهِ. ولظنّهِ بأن للاثر المذكور قدرًا عظيماً فيحصل ببيعهِ على مبلغ وافر عُني بتصويرهِ في معاقة زحلة واخذ منهُ عدَّة صور عرضها على محبي الآثار لعلّهم يشترونهُ بثمن بالغ. وقد انتشرت هذه الصور فأتاني كثيرون من الادباء في هذه المدَّة الاخيرة ليستعلموا عن قدم الاثر ومعناه وقد سمح لي واحدٌ منهم بان انشر الصورة في المشرق

وبيّن رأيي فيها فنلت لئلا يعود اليَّ السائلون فردًا فردًا فاقول:

لا تمثل هذه الصورة سوى قطعة من اثر قديم لدفن احد السوريين الوثنيين ويرتقي عهدها الى دولة الرومان. وليس في تعيين مكان اكتشافها فائدة كبيرة سواء وُجدت كما يقال في حدث البقاع او في سليميّة او في المعلقة لأن نَصب آثار مدفنيّة كهذا كان شائعاً في امكنة عديدة. والظاهر من الاثر الذي نحن بصدده انهُ كان قطعة من ناووس كبير فنقشوا على وجهه ثلاثة او اربعة اشخاص لم يبقَ منهم غير صورة شخصين وقسم من الشخص الثالث. وقد قصد النقّاش ان يمثل بهم رجالًا دُعوا الى مأدبة في دار الآخرة ولذلك تراهم مضّجعين فوق فراش وثير ومتكئين على وسائد ثمينة وفي ايديهم الكؤوس: والشخصان المنقوشان على اليمين ملتحيان ولاسم كلّ واحد منهما مدوّن بتمام حروفه فيُدعى الواحد (KAHMHC) وهو مختصر اقليمنضوس والآخر اسكندر (ΑΛΕΞΑΝΔΡΟϹ)

وقد صوّروا تحت الفرش كمألوف عادتهم اثاثًا من ادوات البيت منها كوز ذو عُروتين فوق منضدة لطيفة. ثم اناء آخر ذو عروة مدوّرة فوقهُ مغرفة ثم اسكمنة تمثل قوائم حيوان غريب الشكل وفوقها كأسة وغير ذلك وكلّها ادوات تستعمل في الولائم

فهذا مجمل ما نُقش على هذه القطعة وكلّ ذلك مما ليس تحتهُ كبير امر. اما النقش فحسن لكنهُ ليس في غاية الاتقان. ومنهُ يثبت انّ القدماء كالحديثين كانوا يبالغون في رغد العيش والتأنق

ومن خواصّ صورة الشخص الثاني انهُ مزدان بقلادة لعلها حرز او تميمة

وعلى كل حال سواء ظنّ صاحب هذا الاثر انهُ حسبهُ من الآثار النفيسة العزيزة الوجود التي يتزاحم عليها ارباب العاديّات وولاة المتاحف الاوربيّة. وكان الاولى به ان يبحث عند بائعهِ عن القطعة المفقودة منهُ فاذا حصل عليها يهدي الاثر كاملًا الى سراية المعلّقة فيُعرض مدةً هناك على الداخلين ثمّ يُنقل الى المتحف السلطاني في الاستانة. اما اذا بقي الاثر على حالهِ من التحطيم فنشير اليه بان يجعلهُ في متحف بعلبكّ في «موزه همايون» ويُكتب تحتهُ اسم هاديهِ فينال بذلك شكر الزوّار والسلام

بيروت في ٢٠ ت ١ سنة ١٩١٣

سياحة
في طور عبدين

لحضرة القس اسحق ارملة استاذ الدروس في دير مار افرام بماردين (تتمة)

١١° دير العمر او دير قرتمين

ان هذا الدير هو تحفة اديار طور عبدين في يومنا وله شهرة كبيرة واعتبار جزيل لتقادُم عهده وبديع هندسته وجليل ما انطوى عليه من الآثار. غير انه في يومنا قد عدَت على رسومه العوادي وتهدَّم كل ما يحيطهُ من الابنية الفخيمة الفاخرة ولم تترك لنا حوادث الزمان منهُ سوى كنيسته وهي على طرز كنائس طور عبدين القديمة المستبدعة. وتمتاز عنها باتساعها الذي يكاد يضارع طولها. وفي قبة قدس الاقداس تشاهد حتى يومنا الفسيفساء المرقّعة بالفضّة والذهب على شكل جفنة عناقيدُها سوداء واوراقها خضراء. وارض قدس الاقداس مرصوفة كذلك بالفسيفساء الملوّنة المشكّلة. والكنيسة على وسعها مُعتمة مظلمة ليس فيها الّا كوّة لناحية الشرق والى جنوبها ثلاث كوى صغيرة اسوةً بسائر الكنائس القديمة وجاء في تاريخ ابن العبريّ البيعيّ في عهد إوُغريس بطريرك انطاكية ان دير قرتمين او دير العمر شُيِّد سنة ٣٩٧ م وقد كان في سالف الزمان هيكلًا للاصنام (Mss. Sachau, ١٧)

وجاء في سيرة جبرائيل القرتميني مطران الدير (+ ٦٦٨) حسب النسخة العربيّة الخاصة مكتبة دير الشرفة ما ملخّصه(١): « ان انسطاس ملك الروم (+ ٥٢٠) اوفد البنّائين والنحّاتين يتقدّمهم ثاودوسي وثاودور فشيّدوا بيعة الدير وطولها ٣٧ ذراعاً وعرضها ٢٥ ذراعاً وعلوّها ٢٥ ذراعاً ايضاً وسمك البناء سبع اذرع واقاموا فيه ثلاثة مذابح في قدس الاقداس وجعلوا مائدة المذبح حجرة رخام طولها ستة اشبار في عرض اربعة ورسموا فوق المذبح صورة اسد وثور ونسر وانسان ووشّحوا الحجر بثوب ملكيّ فاخر واكاليل فضيّ وركّبوا فيها نحو ثلاثمائة صورة تمثّل اعمال السيّد المسيح (٢) »

---

١) المؤرخ الرهاوي (٥٣ : ١١٢) وابن العبري (ص ٧٧) من تاريخه السرياني

٢) عن نسخة سريانية رأيناها بمديات

تلك كانت حال الكنيسة اما اليوم فهي على ما وصفناها. ودورها كأنها لعبت بها صروف الزمان. وقدّام قدس الاقداس حيث الخورس تشاهد حجرة ملساء طولها خمسة عشر شبراً في عرض سبعة أشبار وعلوّها شبران ونصف شبر (١ وعلى هذه الحجرة يتلون صلوات القرض. ولمحنا فيها كتابة سطرنجيلية لجهة الشمال فهممنا بقراءتها ونسخها فلم يسمح لنا الوافه فطلبنا من الراهب ان لا يعارضنا في نسخها. والححنا عليه وقلنا: هلمّ قلْ ننسخها كلانا معاً. ففعل وأضاء شمعةً وطفقنا نقرأ ونكتب والوافه يربد مزعجاً. فلم نكترث له. واليك نصّ الكتابة حرفياً :

ܐܬܢܩܠ ܙܟܪܝܐ ܒܝܬܒܘܪܕܝܐ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܬܡܢܝܢ ܕܝܘܢܝܐ ܒܒܝܬ
ܡܫܪܝܐ ܕܣܟܝܢ ܟܠܗ ܫܠܡܘܢ ܘܟܕ ܐܘܩܕ ܐܦܝܣܩܘܦܐ
ܐܫܥܝܐ ܩܢܝܐ ܥܪܒܐ ܕܨܒܪܗ ܘܐܬܚܫܚ ܐܫܥܝܐ ܒܒܝܬܐ
ܘܟܠܗܘܢ ܕܝܪܝܐ ܕܥܘܡܪܐ ܐܝܬܝܘܗ ܘܨܠܝܘܗ ܘܣܡܘܗ
ܒܕܘܟܬܗ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܬܡܢܝܢ ܘܬܡܢܐ ܒܝܘܡܝ ܐܦܝܣܩܘܦܐ
ܕܝܠܢ ܘܐܝܣܚܩ ܒܢܦܩܬܗ ܐܝܟ ܚܝܠܗ ܩܘܪܝܠܘܣ ܒܝܬܒܘܪܕܝܐ ܩܕ

«نُقل زكريا البيروردي سنة ١٠٨٠ يونانية (٧٦٩م) في باديه (قسّ دسكاني كلّها سلمون) ولما اوقد الاسقف اشعيا القاني عرّاب صبره واهتمّ اشعيا بالبيت وجميع رهبان الدير واتوا (بالمجرة) وصلّوها ووضعوها في مكانها سنة ١٠٨٨ (٧٧٧م) في عهد اسقفنا واسحق بنفقاته من قدر طاقته قرلس البيروردي القدّيس»

وعلى يمين الداخل الى المذبح حجر ضريح مكتوب بالحروف السريانية هكذا:

ܦܩܕ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܡܢ ܩܠܥܬ ܐܢܬܬܐ ܒܫܢܬ ܐܘܣܙ ܘܚܕܬ ܩܒܪܐ ܕܐܪܒܥܝܢ ܣܗܕܐ ܘܡܪܝ ܣܪܓܝܣ
ܘܡܪܝ ܒܟܘܣ ܘܡܪܝ ܐܫܥܝܐ ܚܠܒܝܐ ܘܥܒܕܗ ܗܟܢܐ

« امرَ البطريرك (من قلعة المرأة) سنة ١٨٦٧ وجدّد ضريح الاربعين شهيدًا ومار سرجيس ومار باخس ومار اشعيا الحلبيّ وجعلها هكذا »

---

١) قرأنا في سيرة جبرائيل رئيس الدير المذكور انهُ حاول ان يأتي بهذه المجرة الى الدير فلم يستطع فتقدّم على رهبان الدير اجمع ليذهبوا ويأتوا بها. فانبعث الموتى من قبورهم ورافقوا الاحياء الى محلّ الحجر واتوا به الى الدير. ثم امرهم جبرائيل فرجعوا الى قبورهم. وهذا كذب او تمويه صرف. فان جبرائيل توفي سنة ٦٦٨ والحجر نُقل الى الدير سنة ٧٦٩ اي بعد موته بمائة سنة كما تبيّن من نص كتابة الحجر عينه في المتن

وعلى الشمال حجر آخر هذا نصُّهُ:

ܩܘܪܩܘܣ ܕܡܢ ܨܘܪ ܕܐܣܬܗܕ ܒܣܘܪܐ . ܘܡܛܐ ܓܪܡܘܗܝ ܠܥܘܡܪܐ ܕܡܪܝ ܫܡܘܐܝܠ

« قرقوس الصوري الذي استشهد في السور ونقل رفاته الى الدير مار شموئيل »

وعند باب الكنيسة على شمال الداخل اليها حجر مكتوب بالسطرنجيلية يتضمَّن اسماء اساقفة دير العمر مدة ٢٤٠ سنة اليك نصهُ حرفياً:

ܫܡܗܐ ܕܐܦܝܣܩܘܦܐ ܕܒܥܘܡܪܐ ܗܢܐ ܕܡܢ ܐܠܦ ܘܫܬܝܢ
ܘܬܫܥ ܕܝܘܢܝܐ . ܝܐܬ ܚܪܢܝܐ . ܚܙܩܝܐܝܠ ܚܐܢܝܐ . ܫܡܘܐܝܠ
ܐܢܡܝܐ . ܚܙܩܝܐܝܠ . ܝܘܚܢܢ . ܐܝܘܢܝܣ . ܐܢܛܝܦܛܪܘܣ . ܣܘܝܪܐ .
ܚܒܝܒ ܐܢܡܝܐ . ܝܘܢܢ ܩܪܬܡܝܢܝܐ . ܝܘܣܦ ܣܒܪܝܬܝܐ . ܝܘܚܢܢ
ܫܪܙܝܐ . ܙܟܐ ܡܢ ܥܠܝܡܘܬܗ ܠܠܥܙܪ ܣܒܪܝܬܝܐ (ܣܒܪ) . ܘܐܚܪܝܐ
ܫܡܘܐܝܠ ܐܢܡܝܐ ܕܡܢ ܫܢܬ ܐܠܦ ܘܐܪܒܥܡܐܐ ܘܟܬܒ ܥܘܗܕܢܐ
ܗܢܐ ܘܒܙܒܢܗ ܗܘܐ ܒܙܬܐ ܕܐܫܬܪܝܬ ܥܘܡܪܐ ܗܢܐ
ܥܕܡܐ ܠܐܫܬܐܣܗ ܡܢ ܦܪܣܝܐ . ܘܗܘܐ ܫܪܒܐ ܣܓܝܐܐ ܘܒܗܝܟܠܐ
ܩܛܠܘ ܠܥܣܪܝܢ ܘܐܪܒܥܐ ܒܢܝܢܫܐ ܒܚܕ ܝܘܡܐ ܘܗܘ ܝܘܡܢ

« اسماء اساقفة هذا الدير منذ سنة ١٠٦٠ (٨٤٩ م) . ياة الحراني . حزقيال الحاني . سموئيل الانمي (١ . حزقيال . يوحنا . ايونيس . انطيطوس . ساويرا . حبيب الانمي . يونان القرتميني . يوسف السبيرتي . يوحنا الشرزي . رُكّاً تعثَّر للخصام لعازر السبيرتي . وآخرهم المعلّم الانمي قام سنة ١٤٠٠ (١٠٨٩م) وكتب هذا التذكار وفي زمانه المشؤوم الخبيث نُهب هذا الدير نهباً نهبهُ الفرس وأضحى قاعاً صفصفاً واقترفوا الشرور في طور عبدين اجمع وقتل الناهبون في الهيكل اربعة وعشرين يوماً (٢

ويستفاد من فنتيث الدير انهُ مشيَّد على اسم مار جبرائيل القسطلي (الباقياني) وشمعون القرتميني وشموئيل الشتني (نسبة الى مشته قرية قريبة من آمد) فيتحصَّل من ذلك كلهِ ان هذا الدير العظيم كان نخبة اديار طور عبدين واقدمها

---

١) نسبة الى بيت مسالم ونسمَّى هيثم ايضاً وهي مسقط راس شمعون مطران جرجر الذي صار بطريرك الشام سنة (١٦٣١–١٦٦٥)

٢) ذكر ميخائيل الكبير في تاريخهِ (٣:٢٦٨) ان دير قرتمين نُهب اولاً سنة ١٠٢٥ م نهبهُ الاتراك . وثانياً سنة ١١٧٦ وقتل فيهِ اربعة رهبان . وذكر المؤرخ الرهاوي (٢٧:١٣٨) ان ادرهون عامل الفرس في نصيبين غزا دير قرتمين وقرى طور عبدين سنة ٥٨٠ تقريباً

عهداً وانه بُني في اواخر القرن الرابع كما شهد ابن العبري في تاريخه الكنسي وان اوّل من تولّى رئاسته سموئيل وخلفهُ قيروس تلميذه (١ ١٠ و١١ تشرين الثاني و١٥ ايار من كلندار الاب بترس). ثم ترأس شمعون رئيس دير قرتمين الثاني (١ كانون الثاني من الكلندار المذكور) وولي بعده الرئاسة قيروس بن صفتيا تلميذ سموئيل وله عيد في ٢٠ تشرين الثاني و١٤ كانون الاوّل. وخلفهُ شمعون الثاني رئيس دير قرتمين (١١ كانون الثاني من الكلندار المرقوم). وكانت وفاة مار شمعون القرتميني سنة ٧٤٤ يونانيّة (٤٣٣م) (كلندار الاب بترس في ١٨ كانون الثاني). وورد في ٣١ آب ذكر جبرئيل القرتميني فقال: قطعوا يده اليمنى واتوا بها الى قرية حاح (وهو شفيع وباء الطاعون وسمه مطراً؟ اثناسيوس الجمّال بطريرك اليعاقبة (٥٩٥—٦٣١) وفي ٢٦ نيسان ذكر لصفتيا رئيس دير قرتمين ولا ندري زمانه. وذكر زكريا اللطي الفصيح في تاريخه ان يوحنا مطران آمد احد مطارنة اليعاقبة الاولين كان من دير قرتمين سنة ٥٠٠ في عهد فولا او بولس بطريرك انطاكية (٥١٩ — ٥٢١) وعُرف ايضاً في بطريركيّة ساويرا الثاني (٦٦٨ — ٦٨٠) حنانيا مطران دير قرتمين (١ واثناسيوس الثالث (٧٢٤ — ٧٤٠) الذي خلف ايليا البطريرك وتمّت رسامتهُ في دير قرتمين. واشتهر ايضاً اثناسيوس السندلي مطران ميافارقين الذي درس في دير قرتمين وتقلّد البطريركيّة بامر ابي جعفر المنصور الخليفة باسم اثناسيوس الرابع (٧٥٦—٧٥٨). ولما خنقهُ الحرّانيّون سار رهبان دير قرتمين واتوا بجثمانه ودفنوه في ديرهم (٢. واسحق الذي صار بطريركاً سنةً واحدة ثم امر به ابو جعفر فخُنق وأُلقي في الفرات واقام بدلهُ اثناسيوس السندلي المذكور

ودرس ايضاً في دير قرتمين تودسيوس بطريرك اليعاقبة (٨٨٧—٨٩٥) الذي برع في الطبّ وصنّف فيه كتاباً باسم « تأليف تودسيوس البطريرك » (٣ وتوفيّ في دير قرتمين في ١ حزيران ٨٩٥

ومنهم شمعون اسقف قرتمين الذي رُسم بطريركاً في تلعدا بانطاكية باسم

١) راجع كتابنا الزهرة الزكية (ص ٣٧)
٢) الزهرة الزكية (ص ٤١). وله عيد في ٢١ أيار وهو موشّس دير فليسا غربي ماردين
٣) الزهرة الزكية (ص ٤٦)

ديونوسيوس الثالث (٩٥٧ — ٩٦١) ودُفن في ضريح ثاودسيوس البطريرك

ومنهم يوحنا مطران قرتمين رسمهُ اثناسيوس الخامس سنة ٩٨٨ وهو الذي جدَّد الكتابة السطرنجيلية في طور عبدين اذ كانت قد بطلت منذ مائة سنة (١ حتى انَّ عمنوئيل ابن اخيهِ كتب سبعين مجلداً من الترجمة البسيطة والسبعينية والحرقلية وفناقيث لثلاث طغمات (ܦܢܩܝܬܐ) على الرقّ ووقفها لدير قرتمين (٢

وفي عهد يوحنا الحادي عشر بطريرك اليعاقبة (١٠٤٢—١٠٥٧) جرت فتنة بينهُ وبين القريان أسفرت عن رقم ثلاثة صكوك مؤدّاها ان لا يُرسم بطريرك الّا بحضور القريان او اخذ رضاه وجُعل احد الصكوك في دير قرتمين (٣

واشتهر من قرتمين ايضاً يوحنا القريان القرتميني رسمه باسيل الثاني (١٠٧٤—١٠٧٥).ومنهم داود مطران قرتمين المعروف في عهد ميخائيل الثاني (‡١٢١٥) ومنهم ايضاً اغناطيوس مطران قرتمين الذي رسم يوسف بن وهيب بطريركاً باسم اغناطيوس الخامس (١٢٩٣ — ١٣٣٣) ومنهم اخوخ الميفوردي كان مطراناً لقرتمين ثم صار مطراناً لطور عبدين (‡١٤٤٥).وخلفهُ في المطرانية والبطريركية قوما ابن جقل السبريني (‡ ١٤٥٥)

هذا ولمَّا خرجنا من الكنيسة رمنا ان نتعهَّد ما اشتمل عليهِ الدير من الغرف فتفقَّدنا غرفةً عالية كبيرة في جنوبي الكنيسة مستديرة الشكل تحيطها سبعة اروقة وفي صحنها مصطبة او دكة مربعة. قيل انها كانت غرفة مائدة الرهبان. واليوم قد انقلبت الى مراح دواب فيها الزبل والتبن واصناف الحيوانات

وقرأنا في قصة جبرائيل مطران قرتمين المذكور سابقاً انهُ كان من عادة رهبان زمانه اذا خرجوا من الكنيسة الى المائدة يرتّلون الاناشيد السريانية المعروفة بالمعانيث (ܡܥܢܝܬܐ) وكان في المائدة اثنا عشر حجراً من الرخام الابيض

ثمَّ طفنا سائر الغرف وانحدرنا الى سرب مظلم في جدرانهِ أجران قبور مكلّسة

---

١) الزهرة الزكية (ص ٥١)
٢) راجع رغبة الاحداث (٢ : ١٥٨)
٣) الزهرة الزكية (ص ٥٢)

تحتوي على اجسام شهداء اصلهم من بلاد الصعيد بمصر هجروا اوطانهم طلباً للنسك وبانوا طور عبدين وانزووا في دير قرتمين. ولمّا هجم الفرس على دير العمر قتلوهم عن بكرة ابيهم. ويؤيد ذلك ما ورد في كاندار الاب بترس (ص ١٦٤) في سادس تشرين الاول ما تعريبهُ:

« ذكر العشرة الرهبان القرتميين المسنّين اخوة . واربعمائة وثلاثة وثمانين شهيدًا . . (ذكر) انهُ في احد الايام فتح البطريرك والرهبان القبور التي في بيت الشهداء بالدير فصادفوا ثمانمائة وثلاثة واربعين جمجمةً »

ولا ندري من هو هذا البطريرك وفي اي زمان جرى هذا

وجاء في خاتمة قصّة جبرائيل رئيس الدير ما نصّهُ: « بصلوات الثلاثمائة المصريين الذين اتوا الى هذا المكان واكملوا جهادهم وبصلاة مار شموئيل ومار شمعون ومار جبرائيل الخ »

وخارج الدير في غربيه عامود مربّع على شكل منارة كبيرة ذو اربع طبقات قيل انها صومعة لاحد نسّاك الدير. وسائر مشتملات الدير لا تستحقّ الذكر اذ قد أمست مهدودةً مقوّضةً برمّتها

وهذا الدير الجليل الذي كان يثويه يوم عزّه ما ينوف على المائة والخمسين راهباً (١ لا يسكنهُ في يومنا سوى اسقف شيخ وراهبين احدهما ضرير والآخر صغير ونفرٌ من جماعة اليعاقبة اسوةً بسائر الاديرة الطورعبدينيّة

امّا قرية قرتمين فهي قريبة من الدير الى جنوبيه تبعد نحو ساعة ولقد كانت شهيرة وخرج منها عدّة اساقفة وكهنة ورهبان كان اهلها يشتغلون الرقّ او جلد الغزال لكتابة الكتب. وسكّانها في يومنا مسلمون كلهم

١٢ً من دير العمر الى باسبرينا

وصباح الثلاثاء ١٩ ايلول قصدنا قرية باسبرينا يصحبنا راهب من دير العمر فقطعنا جبالًا خضراء ووديانًا حتى وصلناها قبل الظهر وكنّا نجهل مجيء ذلك الراهب معنا.

١) ذكر توما المرجي في كتاب الرؤساء (١٨ : ٥٨ من طبع الاب بيجان) جبرائيل رئيس الدير في عهد سهدونا اعني في القرن السابع وقال ان جبرائيل هذا جادل الساويريين الحلوليين (اليعاقبة) الذين يسكنون دير قرتمين. فذلك دليل على كثرتهم وعلوهم

على اننا لمّا وصلنا الى القرية لم يدعنا ان نتفقّد البيعة فسرنا معهُ توّاً الى دار اوجين شيخ القرية فاسرّ اليهِ الراهب ان يأمر بإيصاد باب الكنيسة تجاهنا واخفاء الكتب عنّا . ولمّا قمنا الى الكنيسة سمعنا الشيخ ينادي قسَّ القرية وغيره باللغة الكرديَّة ويحرّج عليهم فتح الباب . ففهم شقيقي يوسف كلامه ودخلتنا الكآبة من تلك المعاملة الذميمة . وجعلنا نطوف القرية متفقّدين فيها اكواخاً وصوامع واكواماً ضيقة تناهز العشرة وتُنسب لايليا والعبدلية وشموني وقوما ودانيال والحنانيا وتوما وجبرائيل وديراً صغيراً للراهبات يسمّى دير الأخوات (ܕܝܪܐ ܕܐܚܘܬܐ) . وديراً لبرصوما فيهِ صومعة . ولمّا رأينـا ان اغلب الذين رافقونا من دار الشيخ مشوا ورجعوا الى شغلهم تحيّناً الفرصة لنتفقد الكنيسة الكبرى . فولجنا الفناء الكبير يصحبنا شخصان وحاولنا الدخول الى الكنيسة فردّونا بصفقة خاسرة وزعموا انّ المفتاح مفقود . واذ كان شقيقي يلحّ في طلب المفتاح لمحتُ كتابةً سطرنجيليَّةً فوق باب الكنيسة فرقيت الى افريز قدّام الحجر وكتبتُها وهذا نصُّها

ܐܬܚܕܬܬ ܗܕܐ ܥܕܬܐ ܘܕܪܬܐ ܕܩܕܝܫܐ . ܘܐܬܪܝܡ ܒܝܡܐ ܘܟܠܐ
ܥܠ ܟܬܒܐ ܕܨܠܘܬܐ ܕܒܕܪܬܐ ܕܪܒܢ ܫܡܥܘܢ ܕܩܪܬܡܝܢ ܒܫܢܬ ܐܠܦ
ܘܚܡܫܡܐܐ ܘܥܣܪ (١) ܝܘܢܝܐ ܟܠ ܕܩܪܐ ܢܨܠܐ ܥܠܘܗܝ ܘܥܠ ܟܠ
ܕܐܫܬܘܬܦ ܒܡܠܬܐ ܘܒܥܒܕܐ

تجدّدت هذه الكنيسة وحوش القديس وارتفع الخدر والكرسي (على كتاب الصلاة) الذي في الحوش الربّان شمعون القرتميني سنة الف وخمسمائة (١ وعشر يونانية (١١٩٩ م) كل من يقرأ فليصلِّ عليهِ وعلى كلّ من اشترك بالكلام والعمل

وقرأنا في محلّ الصيف كتابة اخرى على يمينا تعريبها : تجدّد هذا المسكن سنة ١٨٦٦ (١٠٥٥ م)

امّا الكنيسة فهي مشيّدة على اسم مار دادا (ܕܕܐ) ومار اسيا واشعيا ومار آحا ومار قاد (ܩܕܝ) كما يستفاد من تاريخ نقيث كُتب في باسبرينا

واشتهر في باسبرينا اشعيا القسّ ابن القس دنحا باجيم المتوفى سنة ١٤٠٠ ولهُ ميمر سريانيّ يصف فيهِ هجوم الاتراك والأكراد على بلاد الجزيرة نشره الاب

١) تعذّرت علينا قراءة هذا الحرف السطرنجيليّ ونرجح انهُ ٣

جبرائيل القرداحي الماروني في كتابهِ الكتز الثمين (ص ١١٣). وكوركيس مطران باسبرينا الذي سار اليهِ البطريرك نوح البقوفاوي واستشاره واسترضاه ثم عاد الى ماردين وسيم بطريركاً عام ١٤٩٤. وكان توما مطران قرتمين من باسبرينا وهو الذي صار بطريركاً لطور عبدين († ١٤٥٥)

وعُرف ايضاً برصوما بن عبد العزيز من قرية باسبرينا الذي كتب سنة ١٨٥٦ (١٥٤٥ م) كتاباً سريانياً في العقود والوراثة وسرّ التوبة وحسابات وفهرس الاعياد والاصوام وشيئاً من كتب الطبّ يعقبها تاليفه في الردّ على النسطورية وعندنا نسخة منه . جاء في اوّله في السريانيّة ما تعريبهُ :

« بسم الآب والابن والروح القدس . نكتب مجادلة ضدّ النساطرة جمعها وألّفها برصوم دربنوس »

وورد في خاتمة المجادلة ما تعريبهُ :

« كمل الكلام ضدّ النساطرة حسب تصليح برصوم دربنوس من قرية بيت كورشين ابن عزيز المرحوم وأمه راحيل . كتبه سنة ١٨٥٦ (١٥٤٥ م) »

وبعد هذا عدنا من باسبرينا الى قرية ديران وهي صغيرة ليس فيها من الآثار شيء ومنها جئنا الى قرية كفربه وهي قافت (ܩܦܛ) القديمة قام منها اساقفة ورهبان مشهورون ذكرنا نفرًا منهم في رحلتنا هذه . وفي كفربه كنيسة شاهقة جدًا على جبل عالٍ باسم مار اسطفانس يعلوها الاجرّ وهي على طرز الكنائس القديمة ولم نعثر على اثر كتابة فيها . واعزّنا القسّ سموئيل كاهن القرية فودّعناه الى دير العمر ثانيةً . ولمّا أسحرنا عدنا الى مذيات يوم الاربعاء ٢٠ ايلول وعرّجنا على مزيزخ ثم انتهينا الى عينورد وفيها كنيسة قديمة باسم حدبشابا لم نلفِ فيها شيئاً من الآثار والكتابات . واشتهر من عينورد زكريا نحات الحجرة الكبيرة التي بدير العمر واخوخ ويشوع ويوحنا بن قوفو بطاركة طور عبدين كما ذكرنا في كلامنا عن مذيات ومنهم ديوسقرس شمعون مطران الجزيرة سنة ١٤٨٤

وواصلنا السير حتى جئنا مذيات فلبثنا يومين ضيوفاً مكرّمين على القس بطرس حمال النائب البطريركي .

١٣ من مديات الى دير مار ملكا القلزمي

غادرنا مديات غلس الجمعة ٢٢ ايلول شاكرين للقس بطرس الغيور فضله وأنسه وسرنا صحبة مكاريين مدياتيين الى دير مار ملكا القلزمي. فبلغنا الى قرية كفر شامع على مسافة ساعة من مديات في جنوبيها الشرقي وقد اضمحلت آثارها واندرست وكان فيها دير لمار شربيل ورسومه باقية الى يومنا. وعُرف من هذه القرية «هرقلي الحبيس (ܗܘܪܩܠܝ ܚܒܝܫܐ) في دير كفر شامع» الواقع عيده في ٢٤ كانون الثاني. وكتب هذه الكنيسة توزعت على كنائس الجبل كما سنرى في كلامنا عن انحل ويثوي كفر شامع في يومنا نفر معدود من المسلمين

وانتهينا من كفر شامع الى قرية انحل وهي مشيدة على أكمة تتوسطها كنيسة مار قرياقس الكبرى. ومن سطح هذه الكنيسة يمتد البصر الى قلعة ماردين وبعض الربض. وفيها اسقف يقال له افرام وراهب وكلاهما من السذج. أما هيئة الكنيسة فتحاكي سائر كنائس طور عبدين التي استوفينا وصفها وفيها ضريح المفريان عبد الاحد بن كندو (او جندو) الذي رُقّي الى البطريركية الياس الثاني سنة ١٨٣٧. وفيها كتاب سرياني ضخم يتضمن اخبار القديسين خالٍ من التاريخ والظاهر انه من القرن الرابع عشر. وفيها كذلك ثلاثة فناقيث على رقّ تتضمن طقوس الاعياد منها طقس عيد ابينا مار افرام الملفان السرياني ومار تاودورس الشهيد وعيده في السبت الاول من الصوم وهذا تاريخ الكتاب معرباً:

«انتهى كتاب النيانات السريانية سنة ١٥٢١ (١٢١٠م) في غرة ايلول بدير مار شربيل الشهيد بجانب كفر شامع في عهد البطريرك يوحنا القديس (ابن المدني ١٢٠٨ – ١٢٢٠ م)

وفي انحل معابد واكواخ تنسب الى والدة الله واشميا واولوغ ومار جرجس وشمون وهي ضيقة مظلمة. واهلها يعاقبة باجمعهم يناهزون مائة عائلة

ومشرقي انحل بينها وبين كفرا قرية مار يونس فيها اطلال كنيسة قديمة واهلها مسلمون كلهم يبلغون ثلاثين عائلة ونيف

وشخصنا من انحل الى كفرا فوصلناها في الهجيرة فرحّب بنا كاهنها اليعقوبي الأطيف. وكنيستها على غط الكنائس القديمة الراقية الى القرن السادس او السابع ولها ثلاثة اسواق سوقها الاول باقٍ على هيئته القديمة وقد جُعل فيه المذبح الجديد

وسائر اقسامها قد ذهبت بها صروف الزمان وهي مشيَّدة على اسم مار يعقوب الحبيس ومار هجلاي (ܗܓܠܝ) ولم نعثر على اسم هجلاي في كتب النسّاك والزهّاد التي طالعناها ولعلّه احد تلامذة مار اوجين. وفي الكنيسة تنقيث على رقّ كتنقيث كنيسة الحل الذي وصفناه. وعلى باب الكنيسة الجنوبيّ حجرٌ يعلوهُ تمثال حمامتين ثمّ كاسٌ يتخلّل الحمامتين. وفي حجر آخر رسم نَخل واقادنا الكاهن ان قد وردتهُ رسائل من ماردين ان يحفر تحت المذبح لعلّهُ يجد آثاراً بيعيَّة وكان القسّ في جملة من الفعلة يشتغلون بالحفر ولا ندري هل صادفوا شيئاً . واهل كفر يبلغون نيفاً وعشرين عائلة

وغادرنا كفرا نريد دير مار ملكا القلزمي ابن اخت اوجين رئيس النسّاك الشرقيين. وقبل بلوغنا اليه مررنا بقرية « خربة آله » وهي اركع القديمة. فيها كنيسة كبيرة لليعاقبة واهلها سريان يعاقبة اجمع يربون على الثلاثة بيت ولم نعثر على اطلال او رسوم فيها. ويلوح انّ القرية كانت محاطة بسور رسومهُ تشاهد في غربيها

وعلى مسافة نصف ساعة منها دير مار ملكا وهو مشيّد على اكمة عالية يشرف على احراج غضّة من البلوط وما ضاهاه. مبنيٌّ بالخورَم اعني بصخور محروقة. والكنيسة صغيرة يُرقى اليها بدرج فيها صورة مار ملكا حديثة موضوعة فوق ضريحه. وقرأنا في تنقيث الدير ما نصّهُ :

܀ ܒܝܘܡ ܕܚܕ ܒܟܢܘܢ ܩܕܡ ܫܢܬ ܐܠܦ ܘܐܪܒܥܡܐܐ ܘܫܒܥܝܢ. ܫܠܡܬ ܚܘܕܬܐ
ܕܒܝܬܐ ܩܕܝܫܐ ܕܡܪܝ ܡܠܟܐ ܩܠܝܙܡܝܐ ܘܡܪܝ ܣܒܝܢ
ܢܨܝܒܢܝܐ ܘܡܪܝ ܐܝܫܘܥ ܩܠܝܙܡܝܐ ܘܡܪܝ ܐܘܓܝܢ ܗܘ
ܡܕܒܪܢܐ. ܐܝܟ ܕܟܬܝܒ ܒܟܬܒܐ ܕܡܪܝ ܐܘܓܝܢ ܘܫܪܒܬܐ
ܕܟܢܘܫܝܐ. ܘܚܘܕܬܐ ܒܝܕ ܪܒܢܐ ܐܒܪܗܡ. ܘܫܠܡܬ
ܐܝܟ ܕܚܙܐ ܐܢܬ ܐܘ ܩܪܝܐ

٭ في غرّة كانون الاول سنة ١٤٧٠ (١١٥٩ م) انتهى تنقيث النبانات بدير مار ملكا القلزمي الشهير ومار سبين(١) النصيبي. ومار ايشوع القلزمي (رفيق مار ملكا) ومار اوال

١) ورد ذكر سبين في بستان الرهبان (ܦܘܪܕܝܣܐ ܕܐܒܗܬܐ) طبع الأب بيجان (ق ١ ص ١٨٢) حيث يذكر ان اصلهُ من قبدوقية. والموارنة السريان يتبركون جداً وقد شادوا على اسمهِ كنائس في لبنان احداها في دير القلعة فوق بيروت (المشرق ٨ : ١٥٩)

الموصلي (١ العربي (وضريحه بدير مار ملكا) ومار شمعون الاركحي (نسبة الى اركح وهي خربة آله اليوم) ابن وهبون من بازبدى . التي فيها اي في اركح صنع ملكا المختار اعجوبة وطرد الشيطان من المرأة »

امّا اليشع القلزميّ فهو شقيق مار ملكا (بيجان ٥ : ٤٦٨ من سير القدّيسين « بقي خبر ملكا ملخّصةً عن بيجان (٥ : ٤٢١–٤٦٦) . اصلهُ من القلزم بمصر . وأمّهُ رفقة شقيقة اوجين رئيس النسّاك . وعلّمهُ سموئيل عشر سنوات وكان بمعيّته اليشع كاتب سيرته . وتبع كلاهما خطوات اوجين في مغرة نيسان واستمرّا عندهُ اربع سنوات ثم حجّا الى اورشليم وبريّة الصعيد وبعد ثلاث سنوات عادا الى جبل الازل فاستصحبهما اوجين الى نصيبين فرسمهما ما يعقوب شمّاسين ثم قسّيسين ثم سار ملكا الى المحل ليشيد ديرًا فلم يرُقْ لهُ المكان فعاد الى اركح (خربة آله) وشيّد في قلّتها ديرًا بمشورة مار اوجين وتتلمذ لهُ سليمان بن وهبان . ثم حجّ الى اورشليم تكرارًا وعاد بعد سنتين الى ديره فاتاه اوثل الآثوري كما نوّهنا وترهّب في ديره . ومات ملكا في ٢١ نيسان وخلفه سليمان المشار اليه . وكان ولاد ملكا سنة ٥٣٦ (٢٢٣م ؟) وخروجه من دار ابويه سنة ٥٥٦ (٢٤٥) ووفاته سنة (٦٢٦ – ٣١٥) (٢ وعمره ٩٣ سنة

هذا ملخّص سيرة ملكا ومار اوثل . وقرأنا في كتاب حكايات الدير ما تعريبهُ :

ساويرا التريب حرّض جنام بن حبيب البابيّ فكتب الكتاب وتعب بالكتابة الربّان

---

١) ورد ذكر اوثل (في المشرق ١٠ : ٦٧١–٦٧٢) وكان من المجدل (ܡܓܕܠ) وهي بلدة على الخابور جنوبي ماردين وشرقي راس العين وفي تلّتها بيت مربّع مبيّض ومحيط فيهِ المجول رصيف من الحجارة الضخمة . وقد ذكرها الواقدي في فتوحاته مرارًا (راجع ٢ : ١٠٥ و١١٢ طبع مصر) . وجاء ذكر اوثل المجدليّ في كلندار الاب بطرس ٣ حزيران و٩ تشرين الاول ويستفاد من قصّة مار ملكا القلزمي (بيجان ٥ : ٤٦١) ان اوثل آثوري النحلة عربيّ قصد مار ملكا فشفاه ثم ترهّب لديهِ وتنسّر في قيد الحياة اربع عشرة سنة بعد انتقال مار ملكا . ووضع سليمان الاركحي تلميذ اوثل تذكارًا لملكا واوثل في غرّة ايلول . وورد اسمُ لدير اوثل في الرها . سكنهُ ابرهيم مطران آمد الذي رسمهُ مطرانًا ابن وهبون (المشرق ١٠ : ٦٦٧)

٢) في تاريخ حياتهِ نظر فان مار اوجين توفي ٣٧٩ م فتأمّل

انطون مباسوس سنة ١٩٥٩ (١٦٤٨ م) [وهي سنة ١٦٥٠ م sic] وتجدَّد الكتاب في دير شنّا (١ المقدَّس

من دير مار ملكا الى دير مار اوجين

برحنا دير مار ملكا واخذنا نتوغَّل في غياض وارفة الظلّ وجبال زاهية وعند الغروب انتهينا الى جبل عالٍ تسلقناه فأشرفنا منهُ على قلعة ماردين والبرِّية الفسيحة . ثم جعلنا ننحدر الى الجنوب هائمين على وجهنا لا ندري اين نتوجَّه لا نحن ولا النيحيّان اللذان معنا . فانحدرنا عن الدوابّ واخذنا نتدهدى في مواضع مطموسة المسالك حتى ضرب الليل بأرواقهِ واضحت الساعة الثانية بعد الغروب . فتغلب علينا الجزع والقنوط فاستغثنا بالقديس اوجين وعلقنا ننادي اربعتنا بأعلى صوتنا : ربَّان ربان . مطلّين النفس بدنوّنا من الدير . وبينا نحن في الحيرة والصيحة اذا صوتٌ يدوي في الوادي فعادت الطمأنينة الى قلبنا واخذنا نسير في الهوينا ونصيح بالراهب غير مبالين بالحجارة التي نعثر بها . وبعد هنيهة وصل الينا الراهب الغيور وقادنا بين الصخور بمشقَّة جزيلة حتى الدير وشكرنا فضل القديس اوجين وشفاعته . واثنينا على همة ذلك الراهب الفاضل . فاكلنا ونمنا مستريحين

وعند بزوغ الصباح نهضنا بنشاط واخذنا نسرّح نواظرنا في موقع ذلك الدير الرهيب المرعب ونتأمل في معاهده المباركة وصوامعه الكثيرة فأطربتنا ابنيتهُ واعجبنا مركزه العاصي وتأمَّلنا عيشة الرهبان الذين نووه وابدوا فيه اعمال البرّ والتقى فكأنهُ وكر نسور او عشّ حمام فرددنا آية اشعيا نبيّ الله القائل : « ليترنَّم سكّان الصخرة وليهتفوا من رؤوس الجبال ليرددوا المجد لله ويخبروا بحمده في الجزائر (٤٢ : ١١ و ١٢) . والدير مستوٍ في وادٍ بين جبلين يشرف على البرِّية والجبل يكتنفه من نواحيه الثلاث على شكل نصف هلال وفيهِ اكواخ الرهبان يثويه اليوم مطران زاهد واثنا عشر راهباً احدهم ضرير يعرف الصلوات الفرضيَّة كلها غيباً

وقانون هؤلاء الرهبان يختلف عن رهبان الزعفران فانهم لا يأكلون لحماً ولا

١) شنّا مدينة ببيت زامان يسميها الفرس قردلاباد . راجع كتاب العفّة (عدد ٤٧ ص ٤٧٠ من طبع بيجان)

بياضاً الّا ان اعمالهم غير منتظمة. كلٌّ يصلي ويشتغل ويزمّر ويأكل وينام على حدة والانفراد دون ضابط

ومما لستغربناه فيهم انهم لما اصبحوا لم يجتمعوا للصلاة سوية ولم يقرّب احدهم الذبيحة الالهيّة طبقاً لنصوص الآباء النسّاك بل رأيناهم لم يدخلوا الكنيسة فكانوا واقفين في المصلّى الصيفي يصلّون سرّاً او يجثون ويقومون ومنهم من يصلّي في صومعته ولا ينحدر الى الكنيسة ليتلو الصلاة مع الجمهور. فلم نتمالك ان نفاتحهم في ذلك مبيّنين لهم مخالفتهم لقوانين الآباء.

وبعد ان صلّينا الصبح جعلنا نطوف معاهد الدير متفقدين آثاره. فولجنا كنيسته الكبرى وهي على كبرها واتساعها معرّاة من كل زينة وقلّما يدخلها الرهبان. وفيها ضريح القدّيس اوجين المعظّم المنحدر اليه بدرجات معدودة تعلوه حجارة رخام اسود منيّر. والى جانبه ضريح اختي اوجين تقلا واسطرنطانيس (١

ولم نعثر فيها على كتابة او كتاب وقس عليه مصلّى الصيف فاننا لم نجد فيه ما يستلفت النظر. والى شرقيّ المصلّى غرفة مقسّمة فيها قبور كثيرة دون كتابة والى جنوبيها ثلاثة اروقة عالية معقودة بالآجرّ وعلى الرواق المتوسّط قبّة لطيفة ظريفة يعلوها القرميد الاحمر وتحتها غرفة مربّعة على اسم العذراء مريم اعتنى الرهبان فجدّدوا مذبحها منذ بضع عشر سنوات وفي ظنّنا انها اقدم عهداً من الكنيسة عينها

وفي اطراف الدير مناسك شتى يكتنفها سور آثار ابنيته ظاهرة. وفيه بئر كبيرة واسعة لا تنفد مياهها. وتحت الدير الى غربيّه مغارة واسعة ألفينا فيها عظام اموات ذكر لنا الرهبان انها عظام رهبان نساطرة قد أُلقيت هناك

ولم نحظَ كذلك بمخطوطات في الدير قديمة او حديثة ولعلّ عندهم شيئاً منها لم يُؤْذَن لهم ان يعرضوه لنا ولا نظنّ ان في الدير آثاراً قديمة العهد. والسبب في ذلك ظاهر فان من طالع تواريخ الاديرة ولاسيا كتاب العفّة وكتاب توما المرجي وقف على ما كان لذلك الدير الفخم من الاهمية لدى النساطرة خاصّة فانه كان اوّل الاديار واعظمها عندهم. وبعد هذا دخل في حوزة اليعاقبة وتغلّبوا عليه لشديد اعتبارهم ومزيد اجلالهم لمار اوجين. ومن ثم كان المغلوب والمقهور ينهب ويخرب ويسلب

(١ يجان سير القديسين (٣: ٤٦٢)

ويهرب. وفي مكتبة الكلدان بالموصل انجيل سرياني لآحاد السنة واعيادها على رقّ نُسخ سنة ١١٨٦ م في دير مار اوجين في عهد ايليا البطريرك ويابالاها مطران نصيبين (١

وفي مكتبة الكلدان بماردين كتب شتى منسوخة في دير مار اوجين منها كتب كانت تخصّ هذا الدير. من ذلك انجيل منسوخ في عهد الجاثليق يابالاها وعبد يشوع النصيبيني الذي «وهب هذا الانجيل لدير مار اوجين مع اربعة وعشرين كتاباً». وكانت كل كتب دير مار اوجين حين ذاك اربعة واربعين. ومنها انجيل حسب النسخة البسيطة منسوخ سنة ١٥٦٩ م ذكر في آخره اسماء المتبرّعين على بيعة مار يعقوب بنصيبين وعلى دير مار اوجين. ومنها كتاب ميامر لمار افرام ونرساي وغيرهما نُسخ في دير مار اوجين ١٧ شباط ١٥٠٥ استنسخهُ الربان عبد الله (٢ النصيبيني راهب دير مار اوجين مع كتب أخرى. ومنها كتاب جنّازات (ܥܢܝܢܐ) نُسخ في دير مار اوجين ٤ حزيران ١٥٠٤ م (٣ في عهد البطريرك شمعون وابن اخيهِ ايليا وريث الكرسي. وفي انجيل منسوخ في القوش ١٩ تموز ١٧٤٢ حسب البسيطة في عهد البطريرك ايليا يذكر انهُ كتبهُ القسّ حنّا الذي رُسم على دير مار اوجين بمقاطعة اشتينا

فمن ذلك كلهِ يتّضح ان النساطرة كانوا مستحوذين على هذا الدير حتى القرن السابع عشر والثامن عشر

واعلم ان دير مار اوجين بعد وفاة مشيّدهِ القدّيس بزمان تضعضعت ابنيتهُ فقام من سمي وهمّ بتجديدها. وقد اورد يشوع دناح في كتاب العفة (عدد ١٠٧) عن ابرهيم بر معرّايا قال انّ اصلهُ من قرية معرّى واوفده ابرهيم رئيسه الى جبل الازل فجدّد خرابات دير مار اوجين والتأم اليهِ خمسون نفراً بنيّف. ولما توفي ابراهيم (عدد ١٠٣ من كتاب العفّة) سار روزبيهان الى دير مار اوجين ثم تمطرن على نصيبين

١) راجع قائمة كتب بطريركيّة الكلدان التي نشرها بالفرنسيّة السيّد ادّي شير مطران سعرد (عدد ١٣)

٢) هذا عبدالله استنسخ ايضاً كتاب خميس لدير مار اوجين مع كشكول وحوذرا وكزّا (قائمة السيّد ادي شير عدد ٣٠)

٣) راجع قائمة سيادتهِ لمكتبة الكلدان في ماردين (عدد ٩ و١٠ و٣٠ و٣٨)

ووهب قرية هيزجان لدير مار اوجين . وقال يشوع دناح (عدد ١١٠) ان ربان سفرا أسس ديراً على مرحلتين من دير مار اوجين

وورد في قصة الانبا سلارا ووالدته أليشبع النصيبيّين ان سلارا ترهّب في دير مار يوحنا (١ ومار اوجين في جبل الازل وان يوحنا واوجين اشتركا في الرسالة واجتذاب الوثنيّين الى الدين القويم في جبل الازل وان رئاستهما طالت ستاً وثلاثين سنة وخلفهما اندريوس ٨٢ سنة ثم يوحنا الحيري ٤١ سنة ثم دانيال ٢٠ سنة ثم يوحنا العربي ٣٥ سنة ثم اسطفانس الفارسي ٥٠ سنة ثم يشوع الفلسطيني ستين ثم ابرهيم القبطي ٢٠ سنة ثم ابرهيم الاورشليمي ٣٠ سنة . ثم ترأس الانبا سلارا وعمّر ثمانين سنة وتوفي (٢ فاذا صحّ ان القديس اوجين توفي في ٢١ نيسان سنة ٣٦٣ تكون رئاسة خلفائه قد استغرقت نيفاً ومائتين وثمانين سنة ويكون الاب سلارا قد ترأس سنة ٦٤٣ م

هذا ما عثرنا عليه من اخبار دير مار اوجين . ولو اردنا الاسهاب في هذا الباب لطال بنا المجال وفي ما اوردناه كفاية

وفي جنوبيّ شرقيّ الدير دير في البريّة باسم مار يوب يسكنهُ قوم من اليعاقبة . ولعلّهُ دير مار باباي تلميذ ابرهيم رئيس النسّاك النسطوريّ وكان اصلهُ من بيت عيناثا (طالع توما المرجيّ ١٣:٧) وقد سمّاهُ صاحب كتاب العفة : باباي ابن النصيبيّين الذي ابتنى ديراً في جبل الازل وخرب الدير (٣

من دير مار اوجين الى نصيبين

تأثرنا لنظر معاهد دير مار اوجين وما عبثت به يد الطائفتين النسطوريّة واليعقوبيّة وفارقناه متأسفين ومتحرّقين على حالته وانحدرنا الى البريّة يوم السبت ٢٣ ايلول وكنّا نلتفت اليه ذات المرار متذكرين سموّ مجده السابق متعجبين من مركزه وعطفنا الى جهة الغرب فألفينا على يميننا قرية منثورة بالصخر وهي ملك الدير كان سكانها

١) في شرقي دير مار اوجين دير باسم يوحنا الطائي احد تلاميذه ويسمّى دير النسارة (طالع كتاب العفّة ٦٦ ص ٤٧٠) وفيه دُفن يوحنا الطائي

٢) عن سيرة الاب سلارا التي لم تُنشر بعد فيا نعهد

٣) كتاب العفّة (طبع الاب بيجان ٢٧ : ٤٥٠ و ٧١ : ٤٨٤)

مسيحيين يتولّى تدبيرهم الروحي الرهبان الاوجينيّون. ولمّا هيّجان التي وقفها وزيهان لدير مار اوجين كما جاء تحت عدد ١٠٣ من كتاب المئة. وسرنا في ذيل جبل الازل الى المغرب وودّعنا القديس ومعهده الجليل متكلّمين باخباره واخبار تلاميذه حتى لاحت لنا بساتين نصيبين الغرّاء. فوصلناها عصر النهار. ومن الغد وهو الاحد ٢٤ ايلول اقمنا الذبيحة الالهيّة في معبدنا الجديد وقصدنا كنيسة مار يعقوب النصيبيني معلم مار افرام وهي بيد السريان اليعاقبة يسكنها احد كهنتهم. وناهيك بها من كنيسة جليلة فاخرة وهي على طرز كنائس القرن الرابع او الخامس واسعة الارجاء. تحيطها النقوش المزخرفة من كلّ جانب وفيها سوار تعلوها نقوش بديعة وليس فيها من الزينة الكنسيّة ما يستوجب الذكر. والاواني المقدّسة فيها ليست فاخرة

وتحت المذبح سرداب مربّع اسوةً بالكنائس القديمة فيه ضريح مار يعقوب مطران نصيبين من الرخام الازرق المنجّر طوله زهاء ثلاث اذرع مغطّى بحجر مقبّب يحاكي ضريح مار يوليان بالقريتين. وفي الناحية الجنوبيّة كوّة قدر كفّ مددنا فيها يدنا فاذا هو ناروس فارغ

ثم صعدنا الى الكنيسة وعثرنا على حجار مكسّرة فرقبنا من تلك الحجار حجرة سُطرت فيها هذه الجملة بالسطرنجيليّة: ܗܢܘ ܓܪܡܐ ܕܐܒܘܢ ܢܝܚܐ ܕܡܬܕܟܪ ܘܠܗܘ ܒܝܬ ܩܕܝܫܐ ܡܪܝ ܐܒܪܗܡ ܐܦܝܣܩܘܦܐ ܕܛܝܛܘܣ ܕܥܪܦܘ اعني «هذا عود المرحوم المذكور بين القديسين مار ابرهيم اسقف طيطس من عرفو؟» والى جانبه هذه العبارة: ܨܠܘܬܗ ܥܡܢ ܐܡܝܢ «صلاته معنا آمين»

وقرأنا في احد كتب البيعة ١٠ تعريبة: «انتهى كتاب القرائين الصيفيّة سنة ١٨٥٤ (١٥٤٣ م) و ٩٧١ هـ (١٥٦٣) ؟ في دير مار ملكا المختار القلزمي ومار سيبين ومار اليشع»

واعلم ان ما عرض لدير مار اوجين عرض كذلك لهذه الكنيسة العظيمة. على ان كلتا الطائفتين النسطوريّة واليعقوبيّة امتلكتاها بالمناوبة زمناً

وفي مكتبة الكلدان بماردين (تحت عدد ١٠) انجيل حسب نصّ البسيطة كُتب في ١٧ اذار ١٥٦٦ م في عهد مار ايليا ورد فيه ان دورمليك امرأة درويش وهبت الكتاب لبيعة مار يعقوب بنصيبين. وقد عمّر البيعة ورمّمها مؤمنو نصيبين

في عهد يشوعيب مطرانها سنة ١٥٦٢ م ثم ذكر الكاتب اسماء المتبرّعين والمحسنين الى كنيسة مار يعقوب ودير مار اوجين

ويجري داخل نصيبين نهر هرماس يتسرب اليها من عين الجبل الشمالي . وكان في القرون الغابرة يقسم البلد شطرين وفي عهدنا يتفرّق في ساحات البلد وشوارعه . وماء النهر معكّر موصوف بسونه وخباثته . وما اصدق ابن جبير الرحّالة في وصفه نصيبين اذ قال : « ظاهرها شباب وباطنها هرم »

ودور البلدة اغلبها من اللبن الّا بيعة مار يعقوب ودير فبرونيا (وهو الجامع في يومنا) والثكنة العسكرية وبضعة بيوت . امّا دور المدينة السابقة فقد طمست في قلب الارض حتى يومنا ولقد طالما حفر الاهالي وعثروا على شيء كثير من آثار دور ونقود وما اشبهها . ووجدنا في نصيبين عمودين طويلين قيل ان قساً صالحاً منها مطمور في الارض وتسميها العامة القبّان

من نصيبين الى دارا

وسحر الاثنين ٢٥ ايلول برحنا نصيبين متخوفين من حشياتها الموصوفة ومررنا بقرية سرجي واهلها مسلمون قاطبةً . وكانت سرجي تحت حوزة ملوك ماردين الأرتقيين . وذكر ابن الاثير (١٠ : ٢٨٣) في اخبار سنة ٥٢٤هـ (١١٢٩م) ان زنكي كرّ من الموصل الى ماردين وحصر مدينة سرجي فاجتمع حسام الدين صاحب ماردين وداود صاحب حصن كيفا وصاحب آمد وغيرهم في عشرين الفاً وساروا الى سرجي فهزمهم زنكي وملك سرجي

ثم استأنفنا السير الى دارا فوصلناها الظهر . وليس بوسعنا ان نستقصي البحث من آثار دارا ونصف معاهدها وعاديّاتها التي شغلت نفراً من المستشرقين . انّما نورد من ذلك يسيراً من كثير ولا سيما ما ينوط بتواريخ السريان التي استشفنا اليها في رحلتنا هذه

دارا في لحف جبل بين نصيبين وماردين قيل ان داريوش بن ارشك او ارشق او هو دارا بن دارا ابتناها في عهد الاسكندر وبعد زمان خربت فجدّدها انسطاس ملك الروم († ٥٢٠) خليفة زينون الملك . وهذا انسطاس استدعى توما مطران دارا وارسله في مال وافر الى دارا ليرمّمها فانجز الامر في ثلاث سنوات وسمّاها مدينة

انسطاس (Anastasiopolis) . وازدهت بالسكّان في قليل من الزمان واقام فيها الملك نصبةً شاهقة بدل نصبة ثاودوسيوس التي كانت هُدمت (١

ولمّا ملك يوسطين الثاني (٢ سنة ٥٦٣ ارسل ابن خاله مرقيان في عسكر الى دارا متصدين لمقاتلة الفرس فدحرهم الفرس وانسلّ مرقيان الى دارا ولحقته الجنود سنة ٥٦٦ فساق كسرى طلائعهُ الى دارا فقطعوا الجبل الشرقي واناببيب المياه والنهر الذي كان يجري تحت البلد وشاد سوراً من اللبن خارج سور البلد وصبّ عليهِ الحلّ والوقدهُ بانار قاسي كالفخّار وحصر دارا ستة شهور حتى دخل كسرى البلد ودارت رحى القتال بين الروم والفرس سبعة ايّام فانتنت المدينة من روائح جثث القتلى واستولى عليها الفرس واسروا زعماء الروم وغنموا ثمانية وتسعين الف نفر . وهذا تمّ سنة اثنتين وسبعين لبناء دارا ثانيةً (٣

وفي عهد موريقي سنة ٥٨٣ حصل الصلح بين الروم والفرس فردّ كسرى الى موريقي دارا وراس العين ونحوهما (٤

وبعد ذلك ملكها المسلمون وفي ٧ تشرين الاول سنة ٨٣١ دمّرتها كلتا الدولتين الاسلاميّة والفرسيّة (٥ فلم يبقَ فيها الّا نفر يسير وتغلّب عليها المسلمون وقلّ عدد النصارى حتى يومنا

وكانت دارا على ما اوردنا في المقدّمة احدى مطرانيات الكرسي الانطاكي وتحت سلطتها ثلاث اسقفيات احداها اسقفيّة طور عبدين . ثم جلس فيها مطارنة يعقوبيّون اخصّهم توما المشار اليه . وقد قرأنا في سيرة جبرائيل رئيس دير قرتمين ان سيمانس مطران دارا حضر جنازته سنة ٦٦٨ . ورسم قرياقس بطريرك اليعاقبة (+٨١٧) توما مطراناً لدارا وخلفهُ ساويرا ثم ايونيس او يوحنا الاول رسمهُ ديونوسيوس التلمحري (+ ٨٤٥) وكان يوحنا من اشهر الكتبة السريانيين ولهُ تصانيف (٦ وقام

١) تاريخ الرهاوي (٦٣ : ١١٢) وابن العبري (في تاريخهِ السرياني ص ٧٧)

٢) وهو الشهير باسم يوسطينيانوس الاوّل (راجع حاشية ص ١٤٨ من تاريخ الدول)

٣) الرهاوي (٦٦ : ١٢٢) وابن العبري (في تاريخهِ السرياني ص٨٢)

٤) الرهاوي (٨١ : ١٢٢) وابن العبري (٩٣)

٥) الرهاوي (٢١٧ : ٢٤١)

٦) راجع روبنس دوفال (Rubens Duval, *Littérature syriaque*, p. 390

بعدهُ اثناسيوس حكيم رسمهُ يوحنا الخامس (٨٧٤) . وخلفهُ متى تلميذ دير مار يوحنا بدارا رسمهُ اغناطيوس الثاني (+٨٨٣) ثم ساويرا الثاني رسمهُ ثاودوسيوس (+٨٩٥) ثم ايونيس الثاني رسمهُ ديونوسيوس الثاني (+٩٠٩) ثم جبرائيل رسمهُ باسيل الاوَّل (+٩٣٥) ثم ميخائيل رسمهُ يوحنا السابع (+٩٥٣) ثم ديوسقوردوس رسمهُ ديونوسيوس الثالث (+ ٩٦١) ثم اغناطيوس تلميذ دير قرتمين رسمهُ يوحنا التاسع (+ ٩٨٦) ثم حزقيال تلميذ الدير المذكور وسمّي مطران دارا والخابور رسمهُ يوحنا التاسع ايضاً . ثم فيلكسين تلميذ الدير المشار اليهِ رسمهُ اثناسيوس الخامس (+١٠٠٣) ثم يوحنا الثاني وسمي كذلك مطران دارا او الخابور رسمهُ يوحنا العاشر (+١٠٣٠) ثم يوحنَّا الثالث تلميذ دير مار آباي بقلث رسمهُ البطريرك المذكور . وبعد يوحنا هذا لم نعثر على مطرانٍ لدارا الى عهد يوحنا مطران ماردين المشهور (+ ١١٦٦) (١ . وبعد ذلك بزمنٍ حصلت دارا في سلطة بطاركة اليعاقبة . وفي يومنا لا يوجد فيها احد من السريان وكان في دارا ديران للسريان احدهما دير مار يوحنا المذكور في عهد متى مطرانها سنة ٨٨٣ والثاني دير الابيض الذي اعتزل فيهِ ميخائيل الثاني (+ ٨١٠) وهو في تلّ تجاه دارا جنوبيها وقد تحوَّل الى جامع قصدناهُ فلم يُتَحْ لنا الدخول اليهِ وحجارتهُ تدلّ على قدميَّتهِ

امَّا النساطرة فلم يكن لهم مطران في دارا ولعلَّها كانت خاضعة لمطرانيَّة نصيبين المعتبرة عندهم اذ عدّوها الكرسي الثاني . امَّا الاوَّل فكان كرسيّ عيلام كما ذكر عمرو بن متى (٢

وذكر توما المرجي (٢٥ : ٣٩) غريغورَ البدأميّ مطران نصيبين قال ان كسرى في السنة الخامسة عشرة لملكهِ دوَّخ دارا وأمر ان يكون غريغور خليفة لسبريشوع الجاثليق ولم يذكر اسم مطران او اسقف للنساطرة في دارا

وذكر صاحب كتاب المئة النسطوري (عدد٣ص٤٤١) «ان شاري تلميذ اوجين

---

١) استمرَّت دارا كرسيًّا لمطران خاصّ حتى سنة (١٠٦٢م) فاتانها بجمع مطارنة السريان اليعاقبة الى ابرشيَّة المريان وضمّ اليها نصيبين وتلث (الزهرة الزكيَّة ص ٥٢)

٢) راجع المشرق (٢:٣٠٢:١)

بلغ الى جبل دارا وابتنى فيه ديرًا فخيماً . ووسمهُ سبر يشوع مطران نصيبين وجعلهُ ديرًا كبيرًا شهيرًا »

وقد ورد في ٢٥ شباط تذكار لشمعون الداري ونظنّ انهُ كان مطرانًا يعقوبياً (راجع كلندار الاب بترس ص ١٧٦)

ثم اننا جلنا ساحات دارا وطفنا نواحيها وأُعجبنا بآثارها وعتائقها . فالنهر يفصل البلد شطرين وفي الناحية الشرقيَّة يسكن المسلمون وفي الغربيَّة نفرٌ من الارمن الكاثاليك لا يتجاوز العشرين عائلة ولهم قسّ ارمني من ماردين ومصلّى صغير حديث . وآثار سور البلد باقية حتى اليوم وفيها اسراب شتى يُنزَل اليها بدرج تحت الارض وهي طويلة ضيّقة تمتدُّ من الشرق الى الغرب قيل انها كانت خزينة الملك او السجن . وشاهدنا ايضاً اسراباً فوق البلدة شمالها كان يجري فيها الماء . وفي غربيّ دارا صخور شتى منقورة يُظنّ انها كانت معابد للوثن ثم أُحيلت اكراخاً للرهبان ولحظنا على باب احدى تلك المغاور هيئة جندي باسل والى جانبهِ كتابة يونانيَّة اشكل علينا اخذ صورتها بالقلم لقدم عهدها . ولم نحظَ بآثار او كتابات سطرنجيليَّة على كثرة تنقيبنا وتنقيرنا عنها . وذكر لنا الاهلون انهم كلما حفروا صادفوا قطعاً من النقود القديمة الراقية الى القرن الخامس والسادس بعد المسيح . وقد حصلنا على قطعة ذهبيَّة من المسكوكات البوزنطيَّة وُجدت بين نصيبين ودارا عليها صورة والنتيانوس ملك الروم مع هذا الشعار اللاتيني :

D. N. VALENTINIANVS PFAVG

سيدنا والنتيانوس القيصر التقيّ السعيد

ومن الجهة الثانية هيئة شابين يظنّ انهما لاون وزينون ملكا الروم

وبعد ان شبعنا من مناظر دارا ركبنا الى التلّ الذي في جنوبيّها وحاولنا الدخول الى الجامع القديم المذكور اعلاه فلم نفز بالمرغوب فاستأنفنا السير الى حرّين ومنها الى ماردين وكان وصولنا اليها عند الغروب . وشكرنا لله نعمتهُ الفائضة على صيانته ايانا من الاضرار والاخطار في الحلّ والتسيار

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانية في لغة عرب الجاهلية (تابع)

٩ مفردات جاهلية لوصف ملابس النصارى

كان نصارى العرب يلبسون الثياب كغيرهم من اهل البادية لا يمتازون بها غالباً من سواهم . غير انَّ في المعاجم وبعض الشعر الجاهليّ مفرداتٍ وردت في وصفهم النصارى او شرحوها بقولهم انها من ثياب النصارى . نذكر هنا ما عثرنا عليه منها في مطالعاتنا

فمنها (الأَتْحَميّ) قال في التاج (٩ : ١١٦) : الأَتحميّ الثوب المخطَّط . وقال ابو سعيد : الأَتحميّ اكسية سود ليّنة يلبسها النصارى . قال البعيث :

فكرَّ عليها ثمَّ ظلَّ يجرُّهُ كما جرَّ ثوبَ الأَتحميّ المقدِّسُ

(يريد بالمقدِّس الراهب الذي رحل الى زيارة القدس) . وقال العجّاج (ed. Ahlwardt, p. ٦٧) :

كأنَّهُ منوَّجٌ رومِيْ عليهِ كتَّانٌ وآتحميْ
او مِشْوَلٌ منوَّجٌ حِبَرِيْ

وقال ابو الخراش :

كأنَّ المُلاءَ المحضَ خلفَ كُراعِهِ اذا ما تمطَّى الأَتحميُّ المُخذَّمُ

ومنها (الإِضْرِيج) كساء احمر من الخزّ ويقال ايضاً للخزّ الاصفر . وقيل بل هو كساء يُتَّخذ من المرعزّى من اجود صوفها . وقد ذكره النابغة في ديوانه (العقد الثمين ص ٤) حيث قال يصف اعياد النصارى الغسّانيين :

رقاقُ النعالِ طيّبٌ حُجُزاتهم يُحيَّون بالرَّيحان يوم السباسبِ

تَمشي بيضُ الولائد بينهم وأكسيةُ الإضريج فوق المشاجب

ومنها (الأرندج واليرندج) قال ابو عبيد في المخصص (١٠٣:٤): «هو بالفارسية رَنْدَه. قالوا هو ضرب من الأدم اسود». وجاء في اللسان (١٨: ٣٠٤) والتاج (٢: ٥٠) انَّ اليرندج جلد اسود تُعمل منهُ الخفاف يحتذون بها: وقد خصَّها الشمَّاخ بالنصارى فقال يصف نعاماً في بريَّة:

ودوّيَّةٍ قفرٍ تمشّى نعامُها كمشي النصارى في خفافِ اليرندجِ

ومنها (الرَّيط) وهي الملاءة المنسوجة قطعةً واحدةً وقد ذكرها الراعي في وصف بطرك النصارى (التاج ٧: ١١١) فقال يصف ثورًا وحشيًّا:

يعلو الظواهر فردًا لا أليفَ لهُ مشي البطرك عليهِ رَيطُ كتّانِ

ومنها (الزُّنَّار) قالوا هو ما على وسْط النصارى. وقال في التهذيب: ما يلبسهُ الذمي يشدُّهُ على وسطهِ. وقد اشتقُّوا منهُ فعلًا فقالوا زَنَّرَهُ اذا ألبسهُ الزُّنَّار. وقد جاء الزُّنَّار في الشعر الجاهلي قال عديّ بن زيد وكان معاوية يُعجب بهِ:

يا لُبَيْنَى اوقدوا نارا انَّ الذي تهوون قد حارا
ربَّ نارٍ بتُّ ارمقها تَقضَمُ الهنديَّ والغارا
ولها ظبيٌ يؤجّجها عاقدٌ في الخصر زُنّارا

ويروى:

عندها ظبيٌ يؤرّثها عاقدٌ في الجيد تِقصارا

التِّقصار القلادة. ومثلهُ لابن الضحَّاك (البكري ص ٣٧٠):

بحُرمةِ المسيح وصَلاتكم يا عاقد الزُّنّار بالخصر

ومنها (الكتّان) كما رأيت في شعر الراعي والعجّاج

ومنها (الموق) جمعها أمواق قال ابن سيده: «هو ضرب من الخفاف وقيل خفٌّ غليظ يلبس فوق الخفّ وهو عربيٌّ صحيح». وكان البادِيُّون يتعاملون بالامواق قال النمر بن تولب (التاج ٧: ٧٣ واللسان ١٢: ٢٢٧) ويروى لسلامة بن جندل:

فترى النعاج بها تمشّى خلفةً مشيَ العباديّين بالأمواقِ

وكانت هذه الخفاف تتخذ من الجلد المدبوغ بالقرظ فيدعونهُ السِّبْت ويتنعل بهِ السادة قال عنترة في معلّقتهِ:

بطلٌ كأنَّ ثيابهُ في سرحةٍ يُحذى نعالَ السِّبْتِ ليس بتوأمِ

ومن لبس زُهّادهم (المِسح) وهو ثوب الرهبان من شَعر. قال جرير (التاج ٨: ٦٦):

لا وَصْلَ اذ صرَمَتْ هند ولو وقفتْ لاستفتنَتْني وذا المِسْحَيْنِ في القَوْسِ

هذه بعض الفاظ نقلناها وقد صرَّحوا فيها بذكر النصارى. ولا شكَّ انَّ الفاظاً أُخرى دخلت في العربيَّة بواسطة النصارى من الحبش والروم والسريان كما يدلُّ عليها اصلها الاعجميّ كالبُرْجد والإكليل والتاج والبُرنس وابي قلمون والقَلَنسوة والجلباب والسندس وغيرها وان لم يخصّها الكتبة بالنصارى وحدهم

١٠ الفاظهم في الكتابة وادواتها

رأيت في فصل سابق انَّ الكتابة دخلت بين العرب بفضل النصرانيَّة. فلا عجب ان تكون الالفاظ الدالَّة على هذه الصناعة قد وردت خصوصاً في آثارهم ولذلك ترى ذكر ادوات الكتابة مقرونةً في اشعارهم بذكر الزبور وكتب الوحي التي كان الرهبان يتناقلونها في جزيرة العرب ويتأنّقون في كتابتها

فاوّل ما ذكروهُ (القَلَم) قال معاوية الجعفري (معجم البكري ص ٥٨٢) يصف منازل دارسة:

فانّ لها منازلَ خاويات على نَمَلى وقفتُ بها الركابا

من الاجزاع اسفلَ من نُميلٍ كما رجَّعتَ بالقلمِ الكتابا

ومثلهُ لكعب بن زُهير (البكري ص ٤٤١):

أتعرف رسماً بين رُهمانَ فالرَّقَمْ الى ذي مراهيطٍ كما خُطَّ بالقَلَمْ

وقال لبيد في معلَّقتهِ:

وجلا السُّيولُ عن الطلول كأنَّها زُبُرٌ تُجِدُّ متونَها اقلامُها

وكانوا يكتبون على الجلود وجريد النخل والعظام والواح الرصاص. ومن اشهر الفاظهم (القِرطاس) وهي فارسيَّة كالكاغد ويقال قِرْطَس ايضاً. وقد وردت في الشعر الجاهلي قال المخبَّل الغُبَيلي يصف رسوم دار شبَّهها بخطّ الزبور على القرطاس قال (التاج ٤: ٢١٥):

كأنَّ بحيث استودعَ الدارُ اهلَها مَخطَّ زَبُورٍ من دواة وقِرْطَسِ

ومنها (الأديم) اي الجلد كانوا يصقلونهُ ويرقّقونهُ فيكتبون عليهِ. قال المرقّش:

الدار قفرٌ والرسومُ كما رقَّش في ظهر الاديم قلَمْ

وكانوا يدعون الأَدَم الرقاق (ورَقًا) قبل ان يصطنعوهُ من القطن تشبيهاً بوَرَق الشجر في تصفيحهِ. قال جرير (البكري ص ١٠٦):

لمن الديار ببائلٍ فالأنعم كالوَحْي في ورَق الزَّبور المُعْجَمِ

وهو (الرقّ) ايضاً جمعهُ الرقوق للجلد وللصحيفة البيضاء والكلمة حبشيَّة الاصل كما يُظَنّ قال الخالد بن الوليد المخزومي (الاغاني ٣: ١١٢):

هل تعرفُ الدارَ اضحت آيُها عجَبًا كالرقّ اجرى عليها حاذقٌ قَلَمَا

وفي القرآن: « رقّ منشور ». وقد دعوا الاديم والصحيفة البيضاء والحصير المنسوج خيوطهُ سيورهُ (قضيباً) قال النابغة (التاج ٩: ٦٦) وفي وصف الرسوم:

كأن مجرَّ الرامساتِ ذيولَها عليهِ قضيمٌ نمَّقتْهُ الصوانعُ

وقد دعوا القرطاس والصُحُف البيض (بالمُهرق) وهي لفظة فارسيَّة مُهْرَه. قال الصَّاغاني: المهرق ثوب حرير ابيض يُسقى الصمغ ويُصقل ثمَّ يكتب فيهِ والكلمة قديمة قال الحارث بن حِلِّزة في معلَّقتهِ:

واذكروا حِلْفَ ذي المجاز وما قُدِّمَ فيهِ العهودُ والكفلاء
حذَرَ الجَوْرِ والتعدّي وهل ينقض ما في المهارقِ الاهواء

وقال ايضاً (التاج ٧: ٦٦) في الأطلال شبَّهها بكتابة الحبش:

آياتُها كمَهارقِ الحَبَش

وقال الاعشى يذكر الأدمية المرقومة في المهارق (اللسان ١٢: ٢٤٧):

ربي كريمٌ لا يكدِّر نعمةً فاذا تُنوشد في المهارق أنشدا

وكذلك كتبوا على (العَسيب) اي جريد النخل قال امرؤ القيس:

لمن طَلَلٌ ابصرتهُ فشجاني كخطِّ زبور في عسيبٍ يماني

وفي الهذليَّات قولهُ:

او زُبُر يحبِّرُ بينها احبارُها بالمِسْبَرِيَّة في عَسِيبٍ ذابلِ

وكتبوا ايضاً على الالواح (واللَّوْحُ) كلّ صفيحة عريضة من خشب او عظم كالكتف كانوا يكتبون عليها. وقد ورد في القرآن: « في لوح محفوظ »

(والرَّقيم) اللوح من الرصاص. قال امية بن ابي الصلت يذكر اللوح الذي

كان مع اصحاب الكهف حيث رُقمَ نسبهم واسماؤهم ودينهم (البيضاوي طبعة ليدن ص ٥٥٥):

وليس بها الّا الرَّقيمُ مُجاورًا ... وصِيدَهُمْ والقومُ في الكهفِ هُجَّدُ

وسمّوا مجموع الاوراق المكتوبة (كتاباً) قال زهير في معلّقته عمّا يخفى في قلوب البشر فيدينهُ الله في الآخرة:

يؤخَّرْ فيوضَعْ في كتابٍ فيُدَّخَرْ ... ليوم الحساب او يُعجَّلْ فيُنْقَمِ

وقال عديّ بن زيد الشاعر النصراني في الانجيل (شعراء النصرانية):

ناشدتنا بكتاب الله حُرمتنا ... ولم تكن بكتاب الله ترتفعُ

ودعوا الكتاب (بالقطّ) جمعهُ القُطوط وهو في الاصل الجلد الذي يُكتَب عليه وقال اميّة يذكر قومهُ بني اياد (التاج ٥: ٢٠٩):

قوم لهم ساحة العراق اذا ... ساروا جميعاً والقِطُّ والقلمُ

وقيل اراد بالقطّ هنا الانجيل. وقال مثلهُ الاعشى:

ولا الملكُ النعمانُ يومَ لقيتُهُ ... بنعمتهِ يُعطي القُطوطَ ويأفِقُ

اي يمنح الصكوك للجوائز. وكذلك (الصحيفة) فهي الكتاب ايضاً قال لقيط الإيادي (تاريخ ابن الاثير ١: ١٥٧):

سلامٌ في الصحيفة من لقيطٍ ... الى مَنْ بالجزيرة من إيادِ

ويروى: «كتابٌ في الصحيفة». وسمّوا الصحيفة (بالمَهْرَق) قالوا انها الرسالة المنقولة من بلد الى بلد. قال صخر الغيّ في الهذليّات (ed. Kosegarten, p. 13):

أبلغْ كبيرًا عني مغلغلةً ... يبرقُ فيها صحائفٌ جُدُدُ

فيها كتابٌ ذَبْرٌ لمُقترئٍ ... يعرفهُ ألبُهُمْ ومَنْ حَشَدوا

ومن اسماء الكتاب عندهم (الصُّحُف) وردت في شعر امرئ القيس للدلالة على كتب الرهبان قال:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ وعرفانِ ... ورسمٍ عفت آياتُهُ منذ أزمانِ

أتت حِجَجٌ بعدي عليها فأصبحتْ ... كخطِّ زبورٍ في مصاحفِ رهبانِ

ومن اسماء الكتب (المجلّة) قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٦٢): «المجلّة الصحيفة يُكتب فيها شيء من الحكمة» واللفظة آرامية. قال النابغة يذكر الكتب المقدّسة التي كانت في ايدي بني غسّان:

بجلّتهم ذاتُ الالهِ ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

ومثلها (السِّفْر) للكتاب من التوراة والانجيل وقد مرّت وكذلك سمّوا الكتاب (سِجِلّا) كما ذكر في المخصّص (١٣:٨) وفي التاج (٣٧:٧) والكلمة لاتينيّة (sigillum) بمعنى الخاتم والكتاب المختوم · وقد عرفوا (القِمَطْر) وهو ما يُصان فيه الكتاب فانشدوا (التاج ٣:٥٠٦) :

ليس بعلمٍ ما يعي قِمَطْرُ ما العلمُ الّا ما وعاهُ الصَّدْرُ

وكما ذكروا الكتاب كذلك ذكروا (الخطّ) · قال حسّان بن ثابت (سيرة الرسول ص ١٥٤ ed. Wüstenfeld) في رسوم الدار :

عرفتُ ديار زينبَ بالكثيبِ كخطِّ الوحيِ في الورق القشيبِ

وكذلك قالوا في (السَّطر) انهُ الخط والكتابة · واصل الكلمة من الآراميّة · وروى في تاج العروس لبعضهم (٣:٦٧٢) :

اني وأسطارٍ سُطِرنَ سطرًا لَقائلٌ يا نصرُ نصرًا نصرا

وقال الشمّاخ (اللسان ٥:٢١٩) :

كما خطَّ عبرانيَّةً بيمينهِ بتيماءَ حبرٌ ثمَّ عرّض أسطُرا

وكانوا يتخذون للكتاب سمةً وديباجة حسنة وهو (العُنوان) قال ابو دؤاد الايادي (التاج ٩:٢٧٢) :

« لمن طللٌ كعُنْوانِ الكتاب »

وكانوا يُعنَون بوشي الخطّ وتنميقهِ · قال علقمة بن عبَدة (معجم ما استعجم للبكري ص ٥٠٥) :

وذكّرنيها بعد ما قد نسيتُها ديارٌ علاها وابلٌ متبعِّقُ
بأكناف شمّاتٍ كأنّ رسومَها قضيمُ صَنَاعٍ في اديمٍ منمّقِ

وقال المرقّش الاكبر وبهِ لُقّب مرقّشًا :

الدارُ قفرٌ والرسومُ كما رقّش في ظهر الاديمِ قلَمْ

وقال حاتم الطائي (الاغاني ٧:١٣٢) :

أتعرفُ آثار الديار توهّمًا كخطّك في رقٍّ كتابًا منمنَما

وخصّ رؤبة الانجيل بالتوشية فقال (ed. Ahlwardt., p. 149) :

الجيل احبارٍ وحتّى مُتَنَبِّئُهُ ما خطَّ فيهِ بالمدادِ قلمُهُ

واشاروا الى بعض حروف الكتابة كقول مرّار بن منقذ في وصف رسوم الدار يشبّه بحرف اللام ما مثّلَ منها:

وترى منها رسوماً قد عفَتْ مثل خطّ اللامِ في وَحْيِ الزُّبُرْ

وكان الكتبة يضاعفون النادة في كتابة صورة النون. قال الاخنس بن شهاب (المفضّليات ed. Lyall, p. 410):

لابنةِ حطّانَ بن عوفٍ منازلُ كما رَقَّشَ العنوانَ في الرقِّ كاتبُ

وقال ابو الاسود على خلاف ذلك (الاغاني ١١ : ١١١):

نظرتُ الى عنوانهِ فنبذتُهُ كنَبْذِكَ نعلاً أخلقتْ من نعالِكا

وممّا ذكروهُ ايضاً من ادوات الكتابة (الدَّوَاة) قال سلامة بن جندل (ديوانهُ ص ١٥ من طبعتنا):

ان طَلَلٌ مثل الكتابِ المنمّقِ خلا عهدُهُ بين الصُّلَيْبِ فمُطرقِ
اكبَّ عليهِ كاتبٌ بدواتهِ وحادثُهُ في العين جدّةُ مُهرقِ

وكذلك صرّحوا بذكر (المداد) اي الحبر. قال المتلمّس يذكر الكتاب الذي اعطاهُ عمرو بن هند لعاملهِ في البحرين يسرّ اليهِ بقتلهِ (ياقوت ٤ : ٢٢٨):

والقيتُهُ بالثِنْيِ من جنبِ كافرٍ كذلك أُقني كلَّ قطٍّ مضلّلِ
رضيتُ بها لمّا رأيتُ مدادَها يجول بها التيّارُ في كلّ جدولِ

ومثلهُ (النِّقْس) جمعهُ انقاس قال زهير بن عاصم (البكري ص ٥٢٩):

انّ بلادي لم تكن أملاسا بهنَّ خطّ القلمُ الأنقاسا
من النبيّ حيث اعلى الناسا فلم يدَعْ لَبساً ولا التباسا

وفي الاصل: الانفاسا بالفاء. وهو تصحيف

١٢ بعض الفاظ اخرى متفرّقة لنصارى العرب

نذكر هنا بعض الفاظ وردت في آثار الجاهليّة بخصوص النصارى واوّلها اسم (النصرانيّ) وجمعها النصارى. قال العجّاج في مفردها (ديوانهُ ص ٦٦):

كما يعودُ العيدَ نصرانيٌّ وبيعةٌ لسورها عُلِيُّ

وقال جابر بن حُنَيّ في جمعها (شعراء النصرانيَّة ص ١٩٠):

وقد زعمت بهراءُ انَّ رماحَنا رماحُ نصارى لا تخوضُ الى دمِ

وقال طُخَيم بن الطخمة الاسدي يمدح قوماً من اهل الحيرة من بني امرئ القيس ابن زيد مناة بن تميم رهط عديّ بن زيد (ياقوت معجم البلدان ٢:١٥٧):

بنو السِّمْط والجدّاء كلّ سَمَيْدَعٍ له في العروق الصالحات عروقُ
واني وان كانوا نصارى أحبّهم ويرتاحُ قلبي نحوهم ويَتُوقُ

وقال القطاميّ يذكر نساء النصارى في صومهنّ (التاج ٨:٩٩):

يَلُذْنَ بأعقار الحياض كأنّها نساء النصارى أصبحت وهي كُفَّلُ

ومثلهُ لحسّان (ص ٢٤ من طبعة تونس):

فرحت نصارى يثربٍ ويهودُها لمّا توارى في الضريح المُلْحَدُ

ولعبدالله بن الزبير في حجّار بن ابجر العجليّ (الاغانيّ ١٣:٤٦):

سليلُ النصارى سُدْتَ عِجلًا ولم يكُنْ كذلك اهلٌ ان يَسود بني عجلِ

وقال في التهذيب: وجاءت أنصار جمع نَصْران (اي النصرانيّ) وانشد:

لمّا رأيتُ نبطًا أنصارا

يريد نصارى من النبط (اللسان ٧:٦٨ والتاج ٣:٦٦)

وكذلك قالوا في مؤنّث نَصْرَان « نَصْرانة » قال ابو الاخزر يصف ناقتين طأطأتا رأسيهما من الاعياء فشبّهما بالنصرانيّة تطأطئ رأسها بصلاتها:

فكلتاهما خرّتْ وأسجدَ رأسها كما أسجدَتْ نَصْرانةٌ لم تحنّفِ

وبنوا منهُ فعلًا فقالوا « تنصَّر » اي دخل في دين النصرانيّة. قال حاتم الطائيّ يذكر ديار طيّان وكانوا نصارى (الاغاني ١٦:١٠٤):

وما زلتُ اسعى بين نابٍ ودارةٍ بلحيانَ حتى خفتُ ان أتنصّرا

وقال جعفر بن سراقة احد بني قرّة يهجو جميل بن معمر وقومهُ (الاغاني ٦:١٥):

نحنُ منعنا ذا القرى من عدوّنا وعُذرةُ اذ نلقى يهودًا وبعثرا
منعناهُ من عليا معدٍّ وانتمُ سفاسيفُ روحٍ بين قرحٍ وخيبرا
فريقانِ رهبانٌ باسفل ذي القرى وبالشام عرّافون فيمن تنصّرا

ومما خصُّوهُ بالنصارى (الإِرَان) وهو سرير الميت او تابوت من خشب كانوا يحملون عليهِ موتاهم. هكذا رواهُ شارح ديوان طرفة (شعراء النصرانية ٣٠٠) حيث قال في معلَّقتهِ يصف ناقةً :

أَمُونٍ كألواحِ الإِرَانِ نَسَأْتُها على لاحبٍ كأنَّهُ ظهرُ بُرْجُدِ

قال التبريزي في شرح المعلَّقات (ed. Lyall, 33): الإِران تابوت كانوا يحملون فيهِ ساداتهم وكبراءهم دون غيرهم. وقال امرؤ القيس (ed. de Slane : p. ٣٠)

وعَنْسٍ كألواحِ الإِرانِ نَسَأْتُها على لاحبٍ كالبُرْدِ ذي الحِبَراتِ

قال الشارح (id. p. 99): الإِران سرير موتى النصارى

ومنها (الناؤوس) جمعها نواويس. قال في التاج (٤ : ٢٥٦) النواويس مقابر النصارى. والمرجَّح ان اصل الكلمة من اليونانية (ναός) ومعناها الهيكل والمدفن

ومما ذكروهُ للنصارى (البُوق) وهو النفير الذي يُنفَخ فيهِ. انشد الاصمعي (التاج ٦ : ٣٠١) للعلبكم (كذا) الكندي:

« زَمْرَ النصارى زَمَّرتْ في البوقِ »

يريد هنا الروم الذين كانوا ينفخون الابواق في حفلاتهم

ومن غريب ما نسبوا الى النصارى اكرام (الوثن) جاء في المفضَّليات (ed. Lyall ٥٤٦) وفي اللسان (١٧ : ٣٣٤):

يطوفُ العُفاةُ بأبوابهِ كطَوْفِ النصارى بيتَ الوَثَنْ

(قال) « الوثن الصليب ». وكذلك دعوا الصليب والتماثيل التقويَّة عند النصارى (اصناماً). كما دعاها جرير (بالزُّون) بمعنى الصنم ايضاً. حيث قال (تاج العروس ٩ : ٢٢٦) :

« مَشْيَ المرابذةِ حجُّوا بيعةَ الزُّونِ »

وفي هذه الاقوال غلطٌ فاحش لان النصارى لم يعبدوا قطّ الوثن او الصنم او الزُّون. فضلاً عن كون المرابذة هم المجوس وانما يكرِّمون الصليب والصور لما تمثّل لهم من شخص السيّد المسيح المصلوب واولياء الله. وشتان بين هذا وعبادة الاصنام (لهُ بقيَّة)

البرهان الصريح
في اثبات أُلوهيَّة المسيح

ردًّا على مجلة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل السابع
أُلوهيَّة المسيح في موته

وُلد المسيح مولد إله · عاش عيشة إله · حياتهُ واعمالهُ وتعاليمهِ كلّها مطابقة لحياة ولاعمال ولتعاليم الاله · ولكن أَنقول ايضاً انَّهُ مات موت الاله ؟ أَليس الاحرى بالمسيحي ان يطأطئ رأسهُ خجلًا امام الجلجلة بازاء المصلوب حيث يرى سيّدهُ متازعاً بين لصّين وهدفاً لكل ضروب العار والهوان ؟ او ليس مجرَّد موته كافياً لجحود الوهيّتهِ ؟ فاين القوَّة من الضعف ! وما الاتّفاق بين الاله الحيّ القوي والموت الذي هو دليل الانحلال والفناء ! فدَعنا من تأليهِ مسيحك فانك اذا ذكرت موتهُ اقررتُ انهُ ليس بإله اذ الموت واللاهوت على طرفي نقيض ؟

فما نجيب الى هذا القول أَما من شأنهِ ان يُفحمنا ويزيِّف كلّ ادلّتنا ؟

كلّا ليس ثمَّ من داعٍ الى الخجل فهيهات ان نجد في موت المسيح ما يخجلنا بل نجد على خلاف ذلك ما يزيدنا اعتباراً لشخصهِ وثقةً بلاهوته وليس محلّ اعظم للقوَّة من ان تبرز في الضعف كما قال الرسول في رسالته الثانية الى اهل قورنتس (١٢ : ٩) : « انَّ القوَّة تُستكمل في الوَهن » وقد ظهرت تلك القوَّة الالهيَّة بكلّ بيانها في صليب المسيح كما قال الرسول عينهُ (٢ كور ١٣ : ٤) : « انَّ المسيح وان يكن صُلب من ضُعف لكنَّهُ حيّ بقوَّة الله » · ومن ثمَّ لم يخجل ان يبشّر به مفتخراً بذاك الصليب كآية القوة فقال (١ كور ١ : ٢٢ — ٢٥) : « انَّ اليهود يسألون الآيات واليونانيين يبتغون الحكمة امَّا نحن فنكرز بالمسيح مصلوباً شكًّا لليهود وجهالة للامم وللمدعوّين من اليهود واليونانيين فالمسيح قوَّة الله وحكمة الله لأنَّ مُستجهل الله احكم من الناس ومستضعف الله اقوى من الناس » · فلا خوف اذن علينا اذا

اقترنا بصاب السيّد المسيح وموته لأنّهُ جعل ذلك الموت دليلا على قوّته بل هو برهان ساطع على لاهوته

ان من يلقي بطرفهِ الى البشر حتى ملوكهم وسلاطينهم وجدهم اذا بلغت حياتهم حدود الأجل ضنلوا وضعروا وتلاشى وجدانهم فانَّ موتهم يشهد على ضعفهم مهما عظم جاهم وامتدَّ سلطانهم وقويت دولتهم. لانَّ شوكة الموت لا تُكسر وانتصارهُ لازم لابدَّ من كل الاحياء. وما الولادة الّا رسول الموت فالضعف يشمل طرفي حياة الانسان

وهنا ايضًا لا بُدَّ من اثبات شذوذ في ما يعمُّ البشر اجمعين فكما وجدنا بان السيّد المسيح قد تفرّد في مولده بين كل بني آدم كذلك وجب القول بأنهُ وحدهُ لم يمت كيفيّة البشر فاضحى موتهُ بيّنة جديدة على لاهوته اذ انَّهُ جعل الموت كرطيّ لمجده فامكنهُ على خلاف جميع الناس ان يهزأ بالموت ويفتخر بانتصاره عليه كما قال الرسول اذ يصف المبارزة التي جرت بين المسيح والموت فقلب الموت «اين غلبتُكَ أيها الموت واين شوكتك أيا الموت» (١ كو ١٥: ٥٥)

يتمنّى البشر لو ختموا حياتهم بميتة صالحة وآخرة مجيدة. فانْ مات الشيخ بعد ان شبع من الحياة محفوفًا باولاده راضيًا بما قسمهُ الله له من التنصيب الصالح مورثًا لذريته اسمًا شريفًا وذكرًا طيبًا غبطة الناس على هذه الميتة السعيدة

ومنهم من يتوق الى ما هو اشرف من ذلك ألا وهو موت الجندي البطل في ساحة القتال اذ يلمح راية وطنهِ ولا يرضى بان يد العدوّ تشبها فيهجم عليه في حومة الوغى ويبيع حياتهُ غالية ليفدي تلك الراية بدمهِ فيسقط مثخنًا بالجراح وهو يصرخ بملء فيه: فليحيَ الوطن العزيز!

اما الفلاسفة فيرون انَّهُ ليس موت امجد واسعد من ميتة الرَّجل البارّ الحكيم الذي لم يدنس عرضهُ في حياته كلّها بشائبة خفيفة بل قضى عمرهُ في خدمة قريبه يشدهم بقوله ومثاله الى كلّ صلاح فتثور عليه ثوائر الظلم ويحكم عليه بضروب العذابات فيتلقّى الموت بوجه بشوش ويموت بعزّة نفسه دون ان ينقم على قاتليه

مات الآباء كابراهيم واسحاق ويعقوب ميتة الشيوخ الابرار بعد الحياة الصالحة فكانت وفاتهم كغروب الشمس البهيّة في مساء يوم ساطع النور. مات المكابيّون ميتة الابطال في ميدان الحرب منتصرين لوطنهم. مات سقراط ميتة الحكيم المظلوم الذي قبل الموت من مواطنيهِ وهو لا يطلب سوى خيرهم

على انَّ هناك ميتةً تفوق بشرفها كل ما سواها لم تخطر على بال حكماء الوثنيين ألا وهي ميتة الشهيد الذي يتلقّى بطيب الخاطر اصناف التنكيل واشدّ العذابات ليثبت صحة ما اوحى الله من الحقائق الدينيّة فيضحي الحياة طوعاً في سبيل الايمان. وهذه الميتة التي ترفع بالانسان فوق طبيعتهِ قد تمنّاها الوف ومئات الوف من النصارى الذي شهد لشهامتهم جاليئوس الحكيم الوثنيّ حيث قال (وقد روى كلامهُ ابو الفداء في تاريخهِ ١:٦٥—٦٦):

انَّا نرى الآن القوم الذين يُدعَون نصارى أنَّما اخذوا ايمانهم عن الرموز (يريد بالرموز الوحي الالهي) وقد يظهر منهم افعال مثل افعال مَن تفلسفَ بالحقيقة وذلك انَّ عدم جزعهم من الموت امرٌ قد نراه كلّنا. وكذلك ايضاً عفافهم...

على انَّ هذه الميتة المجيدة قد بلغت غايتها من العظمة في رأس الشهداء وإمامهم السيّد المسيح الذي فاق كل الشهداء بموت كان اهلاً بالاله. وهذا ما أقرَّ بهِ زعيم الزنادقة نفسهُ اعني بهِ جان جاك روسّو في كتابهِ المدعو باميل (Emile IV, 105) حيث قال «ان كان موت سقراط موت فيلسوف فانَّ موت يسوع هو موت إله»

وها نحن نبيّنهُ ان شاء الله في ما يلي ولا حاجة للقول بأنَّنا اذا تكلَّمنا عن موت الاله لا نريد الطبيعة الالهيّة التي لم يمسّها تغيير البتَّة في شخص المسيح بل طبيعتهُ البشريّة القائمة مع الطبيعة الالهيّة في اقنومهِ الواحد الالهيّ

٭

ليس بانسان محض ذاك الذي يسبق ويُعلم سلفاً بموتهِ المجهول وبكل ظروف وفاتهِ من زمان ومكان ونوع دون ان يفوتهُ منها ادنى الامور. وهي حقيقة ثابتة لا تحتاج الى ايضاح لأنَّ الذي يفصّل هذه الشروط كلّها بسابق علم منهُ يُعلن بانَّ الموت عينهُ تحت حكم قدرتهِ والحكم على الموت من خواصّ الاله

والحال انَّ السيّد المسيح قد اعلن بكل تفاصيل موتهِ لم يدع منها صغيراً او

كثيراً الّا سبق وحدّدهُ وذلك اوّلاً على ألسنة الانبياء الذين تقدّموهُ في الاجيال السالفة وثانياً بتصريحهِ هو نفسهُ قبل وقوع الامر بزمان

أمّا ما جاء على ألسنة الانبياء فانّنا قد جمعناهُ قبلاً في بعض اعداد المشرق (السنة السابعة ١٩٠٤ ص ٢٤٢ — ٢٤٤) فترى هناك انّ زكريّا النبيّ (٩ : ٩) وصف دخولهُ الى اورشليم راكباً على اتان. وانّ داود (مزمور ١٠٩ : ٤) وملاخي (١ : ١١) تنبّأا على وضعهِ لكهنوت العهد الجديد ولسرّ القربان الاقدس. وانّ داود ايضاً (مز ٤٠ : ١٠) روى تسليم يهوذا الاسخريوطي لسيّدهِ. وزاد زكريّا (١١ : ١٢) بانّ ثمن هذه الخيانة كان ثلاثين من الفضّة ثمن حقل احد الخزّافين. وتنبّأ زكريّا ايضاً (١٣ : ٧) من تشتّت شمل رسل المسيح كما يتبدّد الخراف عند ضرب الراعي. واعلم صاحب المزامير (٣٤ : ١١ و٣٦ : ١٢) بتواطؤ الامم واليهود في الحكم على المسيح وبقيام شهود الزور عليهِ. وصرّح اشعيا (٥٠ : ٦) بجلدهِ ولطمهِ والبصق عليهِ. واتّفق داود (٢١ : ١٧) وزكريّا (١٣ : ٦) في تعريف ثقب يديهِ ورجليهِ بالمسامير وطعن جنبهِ. وبيّن ايضاً داود (٢١ : ١ — ٧) وصاحب سفر الحكمة (٢ : ١٨ — ٢٠) استهزاء الرؤساء بهِ على صليبهِ. وعاد داود وعيّن (مز ٢١ : ١ و٦٨ : ٢٢) اقتسام الجند لثيابهِ واقتراعهم على لباسهِ وإسقاءهم لهُ الخلّ والمرّ في عطشهِ. وذكر دانيال موت المسيح وزمنهُ (٩ : ٢٦). وقد جمع اشعيا هذه الاوصاف في فصلين من سفر نبوّتهِ (ف ٥٢ و٥٣) لهُ الحقّ بأن يُدعيا تاريخاً منها نبوّة

أمّا السيّد المسيح فقد اخبر تلاميذهُ بكل ما سيجري لهُ مفصّلاً فقال لهم (متى ٢٠ : ١٨ ومرقس ١٠ : ٣٢ ولوقا ١٨ : ٣١): انهُ «صاعد الى اورشليم وسيتمّ فيهِ كلّ ما كُتب بالانبياء. فيسلمهُ اليهود الى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليهِ بالموت ثمّ يسلمونهُ الى الامم (اي الرومان) فيهزأون بهِ ويبصقون عليهِ ويجلدونهُ ويصلبونهُ ويقتلونهُ»

فيا تُرى كيف امكن المسيح ان يقبل كلّ ذلك وهو يرى جماهير الشعب تتبعهُ وتُشيد باسمهِ حتى استقبلهُ اهل اورشليم كاستقبالهم للملوك الظافرين (متى ف ٢١) بل ارادوا «ان يختطفوهُ ليقيموهُ ملكاً» (يوحنا ٦ : ١٥) وهم يمجدون الله في كل

ما يصنعهُ من الآيات (متى ٩ : ٨) . أكان يستطيع ان ينتظر منهم تلك الميتة ? وكم ارادوا ان يثبوا عليهِ ويقتلوهُ فتارةً امسكوهُ مصمّمين العزم على ان يطرحوهُ من قمّة الجبل في الناصرة (لوقا ٤ : ٢٩) وحيناً ارادوا ان يقبضوا عليهِ في البرّيّة وفي الجليل وحاولوا رجمهُ بالحجارة (يو ٨ : ٥١) الّا انهم لم يفعلوا لأنَّ الربَّ كان صرَّح قائلاً بأنهُ سيُقتل في اورشليم اذ « لا يمكن أن يهلك نبيٌّ خارج اورشليم » (لوقا ١٣ : ٣٤)

وكم حاول اعداؤهُ ان يقتلوهُ في زمنٍ لم يعيّنهُ هو فضاق ذرعهم « لأنَّ ساعتهُ لم تأتِ بعد » (يوحنا ١٣ : ١) وعلى خلاف ذلك بيّنٌ في بستان الزيتون انهم يفعلون بهِ ما يشاؤون لأنَّ ساعتهُ التي عيّنها لموتهِ قد اتت فقال: (لوقا ٢٢ : ٥٣) « هذه ساعتكم وهذا سلطان الظلمة »

وكما فصّل بعلمهِ النبويّ السابق كلَّ ما سيحدث لهُ كذلك انبأ تلاميذهُ بما سيصيبهم من خيانة احدهم ومن تشتيت شملهم ومن جحود بطرس ثلاثاً عند صياح الديك. وكلُّ هذه التفاصيل يعدّدها السيّد المسيح بكل تأكيد وكلّ سذاجة ودون تبجّح ولا قلق ولا خوف لا يطلب في سعيهِ الى الموت سوى رضى ابيهِ السماوي كما قال: « ليعلم العالم أني أحبُّ الآب واني كما اوصاني الآب هكذا افعل قوموا ننطلق من ههنا » (يو ١٤ : ٣٠)

وكما اظهر السيّد المسيح ظهور الشمس في رائعة النهار علمهُ الالهيّ هكذا بيّن ايضاً حرّيتهُ الالهيّة في اختيارهِ لموت العار على خشبة الصليب. انهُ لمن المعلوم انَّ الناس ليسوا بمخيّرين في نوع ميتتهم الّا في بعض ظروف قليلة. واذا أُتيح لهم ذلك فضّلوا موتاً قليل العذاب على سواه. أمّا السيّد المسيح فعلى عكس الامر فانهُ هو هو الذي كان مفوّضاً بقبول الموت او رفضهِ وهو هو الذي امكنهُ ان يختار موتاً شريفاً او قليل الهوان والعار على غيرهِ. والحقُّ يقال انهُ فعل ما لا يفعلهُ بشر فاجتبى الموت بل حرّيتهِ وفضّل اقبح ميتة واذلّها على سواها فانهُ اختار ميتة كانوا يحكمون بها على العبيد دون الاحرار فيذوق صاحبها من الاوجاع الواناً فضلاً عن العار اللاحق بهِ امام الجموع المتزاحمة حول صليبهِ

وقد اوضح هذين الامرين في عدّة آيات من الانجيل . فامّا حرّيتهُ في قبول الموت

فبقوله (يو ١٠: ١٧–١٩) : « اني ابذلُ نفسي لآخذها ايضاً . ليس احد يأخذها مني ولكني ابذلها باختياري فلي سلطان ان أبذلها ولي سلطان ان آخذها ايضاً » . ولما أُخبر بان هيرودس يريد قتله فاشاروا عليهِ بالهرب (لو ١٣: ٣١) اكتفى بان يجيبهم : « اذهبوا قولوا لهذا الثعلب ها انا أُخرج الشياطين وأُجري الشفاء اليوم وغداً وفي اليوم الثالث أُكمَّل » . ولما تقدم الشُّرط والجند ليسكروهُ في بستان الجسمانيَّة وقد حانت ساعتهُ اراد أن يظهر لهم آخر مرَّة بانَّهُ يسير الى الموت من تلقاء ذاتهِ لانَّهُ اذ سألهم « من تطلبون » فاجابوهُ « يسوع الناصري » اسقطهم على الارض بمجرَّد جوابهِ لهم : انا هو (يو ١٨: ٨) . ولما اراد بطرس ان يدافع من سيدهِ فضرب خادمَ رئيس الكهنة وقطع اذنهُ زجرهُ الربَّ بقولهِ (متى ٢٦: ٥٢–٥٤) : « اردد سيفك لغمدهِ . . . اتظنَّ اني لا استطيع أن اسأل ابي فيقيم لي في الحال اكثر من اثني عشرة جوقة من الملائكة . ولكن كيف تتمّ الكتب فانَّ هذا ما ينبغي ان يكون » . وكذلك لما لزم السكوت امام بيلاطوس فقال لهُ الوالي (يو ١٩: ١٠–١١) : « ألا تكلمني أما تعلم انَّ لي سلطاناً أن أطلقك ولي سلطاناً ان أصلبك . فاجاب يسوع : ما كان لك عليَّ من سلطان لو لم يُعطَ لك من فوق »

ولم يرضَ المسيح فقط بموتهِ بالحرية التامَّة لكنَّهُ كان يرغب الى ان يضحّي نفسهُ لاجل العالم . فانَّهُ كان يقول لتلاميذهِ (لو ١٢: ٥٠) من موتهِ : « انَّ لي صبغة اصطبغ بها وما اشدَّ تضايقي حتى تتمَّ » . ولما تجلَّى امام تلاميذهِ في جبل الطور وظهر لهم موسى وايليا ما كان كلامهُ معهم (لو ٩: ٣١) الَّا « من خروجهِ الذي كان مزمعاً ان يتمَّهُ في اورشليم » اي من آلامهِ وموتهِ . وعندما حان وقت آلامهِ رجع الى اليهوديَّة مع انَّ تلاميذهُ نهوهُ قائلين (يو ١١: ٨) : « يا معلم الآن كان اليهود يطلبون رجمك وانت تمضي ايضاً الى هناك » فلم يكترث لقولهم . وحتى يظهر مرودهُ بموتهِ القريب اراد ان يدخل اورشليم على غير عادتهِ دخول الملوك والشعبُ يصرخ : « مبارك الآتي باسم الرب ملك اسرائيل » . وبعد العشاء السرّي خرج الى بستان الزيتون حيث كان يهوذا عالماً بان يسوع يصلّي هناك (يو ١٨: ٢) فلم يختبئ منهُ بل سار الى الموت بارتياح

امَّا اختيارهُ لموت الصليب وتفضيلهُ لهُ على ايَّة ميتة كانت دونهُ فبيّنهُ في حديثهِ

مع نيقوديموس حيث قال (يو ٣: ١٤): «كما رفع موسى الحيَّة في البريَّة هكذا ينبغي ان يُرفع ابن البَشَر». وقد قال بعد ذلك لليهود بنوع اصرح (يو ١٢: ٣٢): «واما اذا ارتفعتُ عن الارض جذبتُ اليَّ الجميع. وانما قال هذا ليدلَّ على ايَّة ميتة كان مزمعاً ان يموتها».

فانظر يا رعاك الله كيف السيّد المسيح يعاكس كلَّ افكار البشر باختياره لهذه الميتة ويصنع على خلاف ما يصنعونهُ ليظهر بفعلهِ انهُ هو الاله القادر على قهر الشرور كلّها لا بل يستطيع ان يخرج من الشرّ خيرًا مهما تفاقم وأيس غيرهُ من غلبته

ولنا على لاهوت المسيح في آلامهِ وموتهِ دليل آخر اعظم من الدليلين السابقين نزيد بهِ الفضائل الالهيَّة التي مارسها حينئذٍ وهي تشهد على سمو قداسته

واوَّل ما اراد ان يعرب عنهُ في بدء آلامهِ تسليمهُ التامّ لارادة ابيهِ وذلك اذ اطلق العنان لكل عواطف الطبيعة البشريَّة ليعلم الناس انَّ طبيعتهُ البشريَّة ليست خيالًا بل تشبه طبيعتنا «وجُرِّب في كل شيء مثلنا ما خلا الخطيئة» (عبر ٤: ١٥). فنازعهُ الخوف والحزن والسأم الى ان حزنت نفسهُ حتى الموت (متى ٢٨: ٣٨) فلاذ بالصلاة الى ابيهِ وكرَّرها ثلاثًا بكل ثقة طالبًا ان تجوز عنهُ تلك الكأس المرَّة لكنَّهُ لم يشأ ان تتمَّ مشيئتهُ البشريَّة بل مشيئة ابيهِ السماوي وهي عين مشيئتهِ الالهيَّة. وقام من الصلاة مؤيدًا مستعدًا للموت (مرقس ١٤: ٤٢)

ثمَّ اعتبرْ حلمهُ نحو تلميذهِ الخائن فدعاهُ باسم الصاحب (متى ٢٦: ٥٠) ولم يردَّ قبلتهُ بل اكتفى بان يقول لهُ بمذوبةٍ (لوقا ٢٢: ١٨): «أبقُبلةٍ تُسلم ابن البشر». وانظر رقة برسلهِ الجبناء اذ نسي نفسهُ ليصون حياتهم بقولهِ للجند والشرط (يو ١٨: ٨): «ان كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون». وكذلك لم يترك بطرس بذنبهِ لمَّا جحدهُ فجرح قلبهُ بشكوكهِ بل اكتفى ان ينظر اليهِ نظر الحبيب الى من يجازي حبهُ بنكران الجميل (لو ٢٣: ٦١)

ولله درُّهُ ما اعظمهُ فضلًا واسماهُ فضيلةً اذ يحتمل بوداعة وتؤدة كل اهانات اعدائهِ وسوء معاملتهم لشخصهِ وافتراءهم عليهِ فانَّهُ يلازم صمتًا ابلغ من كل نطق ولم يحتجَّ على ظالميهِ الَّا مرَّةً واحدة بكل لطف وهدوء حيث قال لمن لطمهُ قدَّام

رئيس الكهنة (يو ١٨ : ٢٣) : « ان كنتُ تكلَّمتُ بسوءٍ فاشهد عليَّ بالسوء وان بخيرٍ فلماذا تضربني » . وهذا السكوت لم يَحِدْ عنهُ حتى امام هيرودس حيث كان يستطيع ان يخلّص نفسهُ بصنيع آيةٍ عندهُ فأبى لئلّا يتقرّب بشيءٍ الى قاتل يوحنا المعمدان والى الزاني بامرأة اخيهِ وفضّل ان يزدري به هو وجنوده وان يلبسهُ ثوب المجانين (لو ٢٣ : ٩ — ١١)

وما قولنا الآن عن صبرهِ الجميل بين كل الاوجاع والعذابات في الجلد في اكليل الشوك في حمل الصليب في تسميرهِ عليهِ في مقاساته لآلامه وموتهِ فتراهُ يحوّل بوجهٍ نظر بنات اورشليم الباكيات عليهِ الى انفسهنَّ والى النكبات المتهدّدة لوطنهنَّ (لو ٢٣ : ٢٧ — ٢٩) وتسمعهُ اذا ما شمت اعداؤهُ بعذاباتهِ يصرخ الى ابيهِ لا ليطلب الانتقام بل ليستصفح عن اثمهم بقولهِ (لو ٢٣ : ٢٤) : « يا ابتِ اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما يعملون » . تراهُ حمل صليبهُ كنبيٍ يعلّم منهُ العالم كل الفضائل . يرفق باللص التائب ويعدهُ بانهُ يدخلهُ معهُ في الفردوس (لو ٢٣ : ٤٣) يفكّر في امهِ الكئيبة ويجعلها امًّا لتلميذهِ الحبيب بل لكل ابناء الكنيسة (يو ١٩ : ٢٦ — ٢٧) . يريد ان يتمّم آخر ما كُتب عنهُ في النبوآت فصرخ انهُ عطشان ليقدّموا لهُ مرًّا وخلًّا كما اشار اليهِ داود (يو ١٦ : ٢٨) . ثمَّ يسلّم روحهُ بين يدي ابيهِ كالابن العزيز بعد ان اعلن بانَّ اباهُ قد ضرب الخطيئة في شخصهِ فتركهُ ليفي عن آثام البشر . وقد اراد انَّ موتهُ لا يتمّ الّا وهو صارخ بصوتٍ عظيمٍ على خلاف اللاثنين من المصلوبين ليعرف جميع الحضور انهُ يموت بارادتهِ كما شاء . (متى ٢٧ : ٤٦ ولو ٢٣ : ٤٦)

فننشد الله كلّ من لا تعميهِ الاهواء البشريَّة أهذا موت انسان محض او ليس الاحرى ان نقول مع قائد المئة الذي كان عند صليبهِ وعاين موتهُ ممجدين الله مثلهُ (مرقس ١٥ : ٣٩) : « في الحقيقة كان هذا الرجل ابن الله » ونقرع الصدور بالتوبة كالجموع الذين حضروا موتهُ (لو ٢٣ : ٤٨)

وان زدنا على ذلك ما جرى في تلك الساعة من الآيات الباهرة اذ كُسفت الشمس وخيّمت الظلمة فوق كلّ الارض التي تزلزلت والصخور تشقّقت وحجاب الهيكل انشقّ اثنين من فوق الى اسفل وانفتحت القبور وقام كثير من اجساد القديسين الراقدين وتراءوا لكثيرين . وكلّ هذه الآيات قد ثبتت بشهادة التاريخ وشهود

البيان مليا. فانّ يوحنا الرسول كان احد المعاينين لها كما روى في انجيله (١٩: ٣٥) قائلًا: «والذي عاين شهد وشهادتهُ حقٌّ وهو يعلم انهُ يقول الحقّ لتؤمنوا». امّا التاريخ فشهادتهُ شهادة رسميّة كانت مدوَّنة في سجلّات رومية واليها ردّ معاصرهُ ترتليانس المعلّم في اواخر القرن الثاني للمسيح في دفاعهِ عن النصرانيّة حيث قال (Tertullien : *Apolog.*, c. 12) : «وفي ساعة موت المسيح انكسفت الشمس في رائعة النهار ... فأدّت للمسيح شهادة باهرة. وفي سجلّاتكم ذكرٌ لهذا الامر الخطير». وروى ذلك الواقع يوليوس الافريقيّ عن فلاغون الفيلسوف مبيّناً حدوثهُ على خلاف قوانين الطبيعة فقال: «روى فلاغون انهُ يوم الابدار حدث في الشمس كسوف دام من الساعة السادسة الى الساعة التاسعة على عهد طيباريوس قيصر (١ »

فانْ صحّت هذه الآيات. ولا بدَّ من الاقرار بصحّتها فلا يبقى الّا القول انّ موت المسيح من اعظم الادلّة على لاهوتهِ. كما اعلن بذلك رسول الامم بولس في رسائله الى اهل فيلبّي (٢: ٨) قائلًا: «انّ المسيح وضع نفسهُ وصار يطيع حتى الموت موت الصليب فلذلك رفعهُ الله ووهبهُ اسماً يفوق كلّ اسمٍ لكي تجثو باسم يسوع كلّ ركبةٍ مما في السماوات وعلى الارض وتحت الارض ويعترف كلّ لسان انّ الربّ يسوع المسيح هو في مجد الله الآب» (له بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

HISTOIRE DES ARABES par CL. HUART, tome II, *Paris, Paul Geuthner*, 1913, in-8, p. 512

الجزء الثاني من تاريخ العرب للمسيو كليان هوارت

عرفتَ من وصفنا للجزء الاوّل من هذا التأليف النفيس (المشرق ١٩١٢ ص ٧١١) ما امتاز بهِ عن الكتب السابقة ولا سيما تضلّع صاحبهِ من الآداب الشرقية عموماً وتاريخ العرب خصوصاً. ولعلّ هذا الجزء افضل واوسع جدوى من سلفهِ وهو يتناول تاريخ الاسلام من اواخر الدولة الفاطميّة عند ظهور الدولة الايوبية

١) راجع تاريخ جرجس السنكلي (G. Syncelli Chronographia, *Bonnæ*, 1820, p. 610)

وزحفات الصليبيين الى القرون المتأخرة. ففي هذا القسم فصول واسعة عن تاريخ العرب في مصر الى آخر عهد المماليك وعن تاريخهم في الاندلس الى خروجهم منها وعن تاريخ دولهم في مراكش واليمن وعُمان مع تفصيل اخبار الوهابيين في جزيرة العرب ثمَّ تاريخ دول السودان. وهو يقف في فصوله هذه عند ظهور الدولة العثمانيَّة التي لم يتعرَّض لتاريخها. وقد لزم المؤلف في رواياته واحكامه خطَّة الاعتدال مستنداً اليها. ومن محاسن الكتاب جداول لكلّ دولة توقف الدارس على سياق ملوكها الضابطين لأزمتها. ومنها فهرس واسع في آخر الكتاب ينيف على مئة صفحة لكل الاعلام الوارد فيه ذكرها. وافضل من ذلك باب مستقلّ خصَّهُ في آداب العرب وعلومهم. على انَّ هذا الباب يحتاج الى تنقيح وتحسينات عديدة فلا بدَّ من اعادة النظر فيه. ولو اطَّلع جنابهُ على كتاب طبقات الأُمم لابي القاسم صاعد الاندلسيّ الذي نشرناهُ لاستفاد منهُ في تاريخ هذه الآداب. وممَّا وجب عليهِ التصريح بهِ ما كان للنصارى واليهود من الفضل في النهضة الادبيَّة بين العرب كما بيَّنا ذلك في المشرق (١٤ (١٩١١): ٢٩٦و٣٨٨) : ولا نراهُ وفى بالموضوع في ما كتبهُ هناك عن تاريخ الفلسفة بين العرب في صفحتين (ص ٣٦٥–٣٦٧) وكذلك فصلهُ في الرياضيَّات والطبيعيَّات لا يشفي الغليل. وقد فاتهُ الكلام عن الموسيقى بين العرب. ولو راجع ما كتبهُ احد اساتذة هيدلبرغ المسيو ويدمان (Widenmann) لوجد في كل ذلك مادَّة واسعة. وقد استقصرنا ايضاً فصلهُ الافتتاحي عن علوم العرب قبل الاسلام. وفي كتاباتنا عن عرب الجاهليَّة ما يسدّ بعض الخلل في ذلك وقد وجدناهُ غير مُنصف في حكمهِ على فرديناند ملك اسبانية (ص ١٩٤) وفي الاجمال رأيناهُ يثق الثقة الزائدة في بعض كتبة العرب دون عرض احكامهم على من سواهم. وقد استحسنَّا ما رواهُ في اواخر الكتاب عن التآليف العربيَّة المترجمة الى اللغات الاوربيَّة منذ القرن الثاني عشر وكفى بهِ دليلاً على اهتمام نصارى القرون الوسطى بالعلوم. ويا ليت العرب نقلوا ايضاً الى لغتهم تآليف الاوربيين في تلك الاحقاب لكانت تمَّت الفائدة وتعاضد الشرق والغرب في تعزيز المعارف والآداب. وقد أعجبنا ايضاً ما ختم بهِ المسيو هوارت كتابهُ وهو خلاصة دروسهِ عن احوال العرب وفيهِ بيان سبب تقهقرهم بعد ازدهارهم

ل. ش

MANUALI HOEPLI : IL CORANO, Testo arabo e versione letterale italiana, da Prof. **Aquilio Fracassi**, *Milano*, 1913, LXX-359

القرآن وترجمتهُ الايطاليَّة

انَّ فتح ايطالية لطرابلس الغرب قد ضاعف همَّة الناتجين لدرس اللغة العربيَّة كما رأيت في وصفنا لكتب سابقة طُبعت في الاقطار الايطاليَّة. ولا يخفى انَّ القرآن عند العرب السبق على كل ما سواه فلا ندحة للايطاليين من معرفته ودرسه. فهذا ما حدا باستاذ العربيَّة في مدينة ميلانو السنيور فراكاسي الى نقل الصحف الى الايطاليَّة متحرّياً في ترجمته الضبط والتدقيق اكثر منهُ البلاغة والانسجام. وقد عرض ترجمتهُ على أعلام بلادهِ من المستشرقين فاقتبس نورًا من ملحوظاتهم تمكَّن بها من تحسين العمل على قدر الطاقة وقد احبَّ زيادةً بالفائدة ان يطبع النصَّ العربي مشكَّلا بإزاء الترجمة الايطاليَّة وقدَّم على الكتاب عدَّة فوائد اخصُّها بيان معنى اسماء السُّوَر. وفي آخره فهرسٌ للسُّوَر ثمَّ لموادّ الكتاب على سياق حروف المعجم. وقد اعتنى الطبَّاع هوبلي الشهير في اتقان هذه الطبعة فلا ينقصها شيءٌ من المحاسن ل. ش

E. J. W. GIBB, vol. GII, 5 : THE TAJARIB AL-UMAM OF HISTORY OF IBN MISKAWAYH, with a Summary and Index by *L.* Gaetani principe di Teano, *London, Luzac and C°*, 1913, 8°

الجزء الثاني من تاريخ تجارب الامم لابن مسكويه

سبق لنا تعريف هذا التاريخ (في المشرق ١٢(١٩٠٦): ٥٥٠) وفضل صاحبه في العلم والكتابة. وها هوذا القسم الثاني منهُ وهو مرسوم بالتصوير الشمسيّ عن النسخة الحسنة المصونة في مكتبة أيا صوفيا في الاستانة. وقد استحقَّ البرنس لاون كايتاني المستشرق الايطاليّ الشهير شكر جميع الأدباء بنشرهِ على حساب جمعيَّة جيب الانكليزيَّة. وقد قدَّم على هذا القسم كما فعل بالسابق مقدَّمات ضمَّنها خلاصة الكتاب تيسيرًا لطلب موادّهِ على الاوربيين وختمهُ بفهرس عربيّ غاية في التدقيق. وقد بقي من الكتاب قسم ثالث نؤمّل صدورهُ قريبًا ان شاء الله كما انَّنا نتمنَّى اكتشاف الذيلين اللذين ذكرهما الحاج خليفة لهذا التاريخ في كتاب كشف الظنون (٢: ١٩١) لابي شجاع محمَّد وزير المستظهر المتوفَّى سنة ٤٨٨ (١٠٩٥ م) ومحمَّد ابن عبد الملك الهمذاني ل. ش

I Die Lukas-Homilien d. Hl. Cyrill von Alexandrien, ein Beitrag z. Geschichte d. Exegese = II Die Canones d. Simeon von Revardeshir, herausg. u. ubersetzt v. Dr Adolf Rrücker, *Breslau u. Leipzig*, 1911 et 1908

ميامر القديس كيرلس الاسكندري على انجيل لوقا – قوانين شمعون من روردشير

هذان كتابان لاحد كهنة الالمان الكاثوليك في برسلو الدكتور ادولف روكر الذي زار آخرًا كليتنا وهو اليوم نزيل القدس الشريف فالاول يحتوي دروسًا ولسمًا على ميامر القديس كيرلس الاسكندري على انجيل القديس لوقا كانت قد فُقدت في الاصل اليوناني فوجدوها في بعض مخطوطات المتحف البريطاني في لندن وطبعوها في اوكسفرد. لكنّ حضرة الدكتور روكر وجد لها ملحقًا في احد مخطوطات برلين فلم يكتفِ بنشرهِ وترجمتهِ الى الالمانيّة ولكن انتهز ايضًا الفرصة ليبحث بحثًا علميًا في هذه الميامر من حيث اصلها وترجمتها وخواصّها والنصّ الانجيلي الذي بُنيت عليهِ والمقاطيع التي نقلها الكتبة عن الاصل اليوناني فجاء هذا البحث غاية في الافادة لمن يريد معرفة ميامر وطريقة مار كيرلس في تفسيرهِ لانجيل لوقا – امّا الكتاب الثاني فمضمونهُ القوانين التي وضعها شمعون اسقف ريوردشير في القرن السابع مع اجوبتهِ على اسئلة شتى في الحقّ القانوني وكانت هذه الآثار قد اخذتها ايدي الضياع حتى ظهرت اخيرًا بهمّة اهل عصرنا فأسرع حضرة الدكتور روكر الى نشرها في اصلها السرياني مع ترجمتها الى اللغة الالمانيّة وصدّرها بالمقدّمات المفيدة في تعريف مؤلفها وزمانهِ وكرسي اسقفيّتهِ وملحوظات دقيقة في قوانينهِ وما يستفاد منها لبيان احوال الكنائس الشرقيّة في تلك القرون البعيدة. فنشكر حضرتهُ على ابراز هذين السفرين. ونتمنى ان يتحفنا قريبًا بما توفّق لاكتشافهِ في سياحتهِ الحديثة ل. ش

تاريخ صيدا لمؤلفه احمد عارف الزين

طبع في مطبعة العرفان. صيدا ١٣٣١ • (ص ١٧٦)

كم بالكتيّب تاريخًا لو توفّرت لصاحبهِ المصادر الاصليّة فوفّرت لهُ المادّة فيما يتعلق بتاريخ صيدا القديم والمتوسّط. امّا وقد عثر المؤلف على النزر القليل من تلك المصادر فقد جاء كتابهُ موجزًا الى حدّ التقصير فيما خصّ التاريخ القديم لولا بعض مراجعات تُملّ القارئ. من ذلك نسبة صيدا الى صيدون بكر كنعان التي كرّرها غير مرّة (ص ٢٩ و٣٥ و٣٦) وقد بالغ كل المبالغة بقولهِ (ص ٤٠) « انّ المرجّح

عند الباحثين بأن عدد سكّان صيدا خاصة كان يتراوح بين المليونين والثلاثة ملايين نفس » ولعلّهم لم يبلغوا الى عُشر هذا العدد. وكذلك قد شطّ بقوله هناك انّ الحيوان الذي كان يُستخرَج منهُ صبغ الارجوان قد انقرض. فانّهُ لم ينقرض والعلماء يعرفون طريقة استخراجهِ لكنّهم يفضّلون الطرائق الصبغيّة الحديثة لقلّة نفقاتها. وليس هو (ص ٣٠) هيكل « ارونيس » بل ادونيس ، وهي غلطة طبعيّة ومثلها كثير في الكتاب. وممّا ثبتَ اليوم ان الفونيقيين لم يخترعوا الكتابة بالحروف وانّما نشروها فقط. أما القسم الاخير من الكتاب وموضوعهُ تاريخ صيدا المعاصر فيستغرق اكثر من نصف الكتاب وهو تاريخ ودليل معاً تلذّ مطالعتهُ ويستفيد من اغلب ما جاء فيه اهل صيدا وزوّارها. فنشكر للمؤلف همّتهُ وغيرتهُ الوطنيّة ش. ا

الوساطة بين المتنبّي وخصومهِ

عني بطبعهِ وتصحيحهِ وشرحهِ احمد عارف الزين صاحب العرفان
طُبع في صيداء بمطبعة العرفان سنة ١٣٣١ (ص ٤١٦)

نبشّر المستشرقين وأدباء بلادنا بطبع هذا السفر الجليل الذي ظنّ طلبة الآثار العربيّة انّ اغوال الدهر غالتهُ وتخرّمتهُ فسررنا ايّ سرور باكتشاف جناب الاديب احمد عارف الزين لهذا الاثر الفريد الذي استنسخهُ احد افاضل النجفيين عن نسخة قديمة موجودة في مكتبة أدباء الاسرة الالوسيّة في بغداد. ثمّ توفّق احمد افندي الى وجود نسخة ثانية في المكتبة الازهريّة في مصر قابلها عليها فاهتدى بالمقابلة ثم بالمراجعة مع احد الافاضل الى اصلاح عدّة اغلاط وقعت في المخطوطين. امّا الكتاب فمؤلّفهُ ابو الحسن عليّ بن عبد العزيز الشهير بالقاضي الجرجاني (٢٩٠–٣٦٦هـ=٩٠٣–٩٧٦ م) من مشاهير كتّاب الصدر الاوّل. وغايتهُ من وضعهِ له ان يحكم حكماً عدلاً وسطاً بين المتناقشين في حقّ المتنبّي فبيّن انّ سواء السبيل في ذلك لزوم الجادّة النصف بين المتعصبين له الغالين في اطرائهِ والمتعصبين عليهِ الباخسين من قدرهِ. وقد اثبت ذلك بالادلّة الساطعة والنقد المصيب وكثرة الشواهد والمقابلة مع غيرهِ من الشعراء لتعريف غثّهِ من سمينهِ. وقد زاد جناب الطابع هذا الكتابَ قيمةً بما دوّنهُ في ذيلهِ من الشروح وان قليلة وبما الحقهُ بهِ من الفهارس المفيدة. وهو مطبوع بحرفنا البيروتي طبعاً متقناً وانّما ينقصهُ شيء من الشكل لضبط الابيات دفعاً للّبس.

وقد وقع في الكتاب مع عناية الطابع بعض اغلاط اشار الى قسم منها في آخره ومما لم ينبه اليه (ص١٥١) قوله «يزيد بن مفرّغ» والصواب «المفرّغ» كما نصّ عليه في الاغاني (٢:٧ – ٣) . وهو (ص ١٦٦ و ٣٢٦) «هرمة بن الحشرم» لا «الحشرم» بالخاء . وهو (ص ٢٢٣) «شملة بن فائد» بالفاء . (راجع التاج) وهو (ص ٣٢٥) «مزرّد بن ضرار» . وفيها ايضاً في الحاشية «انّ المرّادة قد خُفّفت فيها الراء لضرورة الشعر» والصواب انّ فرس الكلحبة مَرادة بتخفيف الراء امّا التشديد فلفرس ابي دؤاد (لا دوار بالراء) كما بيّن في اللسان (في مادّة مرد) . والبيت الاخير في الصفحة ٣٤٧ هو من ابيات اوس بن حَجَر (ديوانه ص ١٧ ويُروى: جنَبيـهِ) . وفي بيت الاخطل (ص ٣٥٣) الصواب «او بانت» كما ترى في ديوانه (ص ١١٠) الخ ل. ش

كتاب علم الادب

الجزء الثاني في علم الخطابة . تأليف الاب ل . شيخو اليسوعي

طبعة ثانية مصحّحة مكمّلة . في مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩١٣ (ص ٢٦٤)

قد كنّا سابقاً نشرنا لاوّل مرّة اصول فنّ الخطابة فراج الكتاب رواجاً لم يكن في الحسبان حتى نفد طبعهُ منذ عدّة سنين والاشتغال لم تسمح لنا باعادة النظر في مضامينهِ لإصلاحها وتحسين ابوابها . حتى لسمَنا بالله مؤخرًا واجهدنا النفس في هذا العمل لخير المدارس التي كانت تالحّ علينا تعتني بانجازهِ فتمّ بجوادهِ تعالى كما تراهُ منقّحاً مع عدّة زيادات على الطبعة السابقة . فلنا الأمل انّ الطلبة يتلقونهُ بالاستحسان ويتّخذونهُ دستورًا لاتقان فنّ الخطابة الذي اصبح اليوم بعد نشر الدستور من اكبر الوسائل لتوطيد الواجبات والحقوق والدفاع عن حياض الآداب العموميّة وحاجات الوطن العزيز (من المقدّمة)

كتاب الشيعة وفنون الاسلام

لمؤلفهِ السيد حسن الصدر

طُبع على نفقة شرف الدين وطاهر وزين في مطبعة العرفان – صيدا ١٣٣١ هـ – (ص ١٥)

يتتبع المؤلّف في كتابهِ هذا الفنون والعلوم التي نشأت وشاعت في الاسلام ويذكر من نبغ فيها من اصحاب الشيعة مع مؤلفاتهم وبعض اخبارهم ممّا يزول

بالفائدة على كل مطالع بحثهُ تاريخ العلوم في الاسلام فنثني على واضع الكتاب وناشريهِ وفي صدرهِ ترجمة السيّد حسن مؤلّفهِ حفظهُ الله ش٠ا

تقويم البشير لسنة ١٩١٤

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي

مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩١٣ (ص ٢٤٠)

لا يزال تقويم البشير في ازدياد وتحسُّن سنةً على سنة فنرحّب بهذا المطبوع الجديد ونثني على همّة مؤلّفهِ الذي ضمَّنهُ من المعلومات والفوائد واللطائف في كل فنّ ما جعلهُ دليلًا دينيًا ومدنيًا فريدًا لا شبيه لهُ في بلادنا الشرقيّة في وفرة مضامينهِ وحسن ترتيبهِ وجودة طبعهِ فهو حريّ بان يُدعى كتقاويم هاشيت بالتقويم الجامع لدائرة المعارف كما ترى من فهرس موادهِ التي ننشرها في غلاف المشرق ل٠ش

شذرات

نصرانيّة غسّان والاب انستاس الى حضرة الاب انستاس الكرملي الّا مناقضتنا ففي العدد الاخير من مجلّتهِ لغة العرب (ايلول ص ١٤١ — ١٤٣) عاد الى نصرانيّة غسّان معترضاً على بعض اقوالنا في ذلك واذ كنّا سابقاً قد فنّدنا زعمهُ في هذا الشأن لمّا عارضنا في مجلّة المقتبس فرددنا عليهِ بمقالتين نشرناهما في السنة العاشرة من المشرق (١٩٠٨ ص ٥١٦ و٥٥٤) لا نرى حاجة الى اضاعة وقتنا في تزييف مباحثه الغريبة (راجع ايضاً المشرق ١٤ : ١٤٨—١٤٦). وكذا قل عمّا كتبهُ هناك من نصرانيّة لخم فلتراجع النصوص التي اوردناها عن أوثق الكتبة. ومن عجيب ما يعزوهُ الينا الاب انستاس انّنا قلنا انّ « لخماً كلّها كانت نصرانيّة » ولم نقل ذلك وانّا اوردنا قول الكتبة المسلمين نفسهم دون زيادة حرف عليهِ فان كان فيهِ التعميم فالذنب عليهم لا علينا. فمن ذلك قول صاحب السيرة الحلبيّة (٣ : ٩٥) : « ومن القبائل المتنصّرة بكر ولخم وجذام » فما للاب انستاس اذًا يحاجّنا زورًا. فاذا قلنا ان الفرنسويين كاثوليكيّون أينتقض قولنا وجود بعض البروتستانت بينهم وكذا يقال عن لخم وغسّان والسلام على من اتّبع الهدى

حادث محزن كتبت « الكلمة » تحت هذا العنوان فصلاً نقلته عن مجلة بنتينوس الاسكندرية تنددت فيه على غبطة بطريرك الروم الارثذكس السيد غريغوريوس كميته على ارضروم اكرخوساً لم يحز رضى المسيحيين هناك وردهِ الفوضين المرسلين الى غبطتهِ « بخشونة » (كذا) ووصفت عملهُ هذا « بالمعاملة الخالية من الروح المسيحية ». فتعجبنا من هذا الكلام ولم نعد نذهل مما تكتبهُ في حق الحبر الاعظم وكنيستنا الكاثوليكية وهي تعامل بطريرك كنيستها بهذا اللطف

مكروب الكلب قد وجد العلماء منذ سنين معدودة الطريقة لمعالجة الكلب كما ترى من القسم المختص بذلك في مكتبنا الافرنسي الا انهم كانوا حتى الآن عجزوا عن افراز مكروبهِ القتال وقد افادت المجلات الطبية ان احد علماء اليابان المسمى هيدنو نوجشي توفق الى اكتشافهِ وافرازهِ في المعهد العلمي الذي انشأهُ الثري روكفلر في نيويرك لمثل هذه الاختبارات

قصر السلام وصفت مجلة المقتطف في عددها الاخير هذا القصر الفخم الذي سعى بتشييدهِ الثري الاميركي روكفلر ولم ينسَ الكاتب في وصفهِ الا التمثال الجميل الذي اهدته السيدة كوستا ليوضع في واجهته وهو تمثال السيد المسيح اله السلام المصنوع على شبه التمثال المقام في افتتاح القرن الجديد على جبال الأند

اكتشاف في البرق السلكي قد امتحنوا في ادارة البرق الباريسية المركزية اكتشافاً جديداً سيكون لهُ شأن عظيم في عالم البرق السلكي الكهربائي. وقد نجح هذا الاكتشاف نجاحاً تاماً اما المبدأ الذي يقوم عليهِ هذا الاكتشاف فهو الآتي: « على سلكٍ يسير فيهِ مجرى كهربائي مستقيم دائم يمكن ان يسير عدد من المجاري التموجية يقابل عدداً مساوياً لهُ من الآلات البرقية المتنوعة ». وقد جرى تحقيق هذا المبدأ ونتائجهِ في شهر تموز الماضي فان ثمانية عشر عاملاً قد ارسلوا في وقت واحد وعلى سلك واحد ١٨ برقية مختلفة. وكان ممكناً ان يكون عددها اكثر. فبعد ان تحقق نجاح هذا الاكتشاف قررت الادارة المذكورة ان تعدَّ في شهر تشرين القادم معهداً لتدريس اصول هذا الاكتشاف وكيفية العمل بهِ وتعميم ما يقتضيهِ من المعارف. ومما تحسن ملاحظته هو ان طريقة « بودو » في ارسال برقيات متعددة في الوقت الواحد كان مبدأها سرعة المجرى الكهربائي. وهذه الطريقة لم تكن تيسّر

للبرق ان يرسل اكثر من ست برقيات في آن واحد . اما بواسطة هذا الاكتشاف الجديد فيتيسر ارسال ثمان عشرة برقية في آن واحد لا بل اكثر كما ذكرنا . فسبحان خالق الكون ومبدع ما فيه من الغرائب (جريدة البشير)

❊ ذاكرة النبات ❊ ما اكتفى صاحبنا جرجي افندي زيدان بان يثبت للنبات حساً لبعض حركات تحصل فيه بتأثير العوامل الخارجية فها هو بشَّرنا في عدده الأوَّل من سنته ٢٢ (ص ٦٥) بانَّ العلماء (!!!) لم يجدوا فقط ان النبات حسَّاس يشعر بالالم ونحوه لكنَّهُ ايضاً ذو قوَّة حافظة او ذاكرة. وبياناً لقوله اورد مثل نبات يوضع في ظلام دائم فاذا صار الغروب اطبق اوراقهُ وعند الشروق يفتحها لأنه تعوَّد ذلك سابقاً «فلم ينسَ ما تعوَّده» فيا لهُ من فيلسوف نطاسيّ «نسي» اصول الفلسفة وخلط بين مواليد الطبيعة التي لم يمزجها غير دروين وذويه دون ادنى دليل علميّ . فكيف لم ينتبه جناب الكاتب انَّهُ ناقض ذاتهُ بذاتهِ فبعد ان قال انَّ النبات اعتاد ذلك سابقاً يقول انَّهُ «لم ينسَهُ» افلا تكفي العادة التي اعتادها النبات سابقاً فما الداعي الى نسبة هذا العمل الى الذاكرة ؟ ومن هم العلماء القائلون بذلك ؟

اسئلة واجوبة

س سأل من القدس حضرة القس بولس سباط : ١ً من هو معرّب كتاب السياسة في الرئاسة لارسطو . ٢ً ومعرّب كتب القديس يوحنا الدمشقي في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام . ٣ً ماذا يُعرف من تآليف يوحنا ابن بطريق

كتاب السياسة لارسطو — كتب القديس يوحنا الدمشقي — تآليف يوحنا بن بطريق

ج نجيب على (الأوَّل) ان تعريب كتاب السياسة في الرئاسة منسوب الى يوحنا ابن بطريق وهو كتاب موضوع نسبوهُ زوراً الى ارسطو ومنهُ نسخة في مكتبتنا . وعلى (الثاني) انَّ منطق القديس يوحنا الدمشقي يُنسب تعريبهُ في نسخة من نسخ مكتبتنا القديمة الى راهب اسمهُ انطوني من سيق القديس سابا . امَّا بقيَّة كتبهِ فالمرجَّح انَّ معرّبها عبدالله بن الفضل الانطاكي (راجع المشرق السنة السابعة (١٩٠٤) ١٠٦٨ — ١٠٧٠) . وعلى الثالث انَّ ما يعرفونهُ من تآليف يوحنا بن بطريق منقولات من اليونانيَّة ككتاب الحيوان والآثار العلويَّة والنفس لارسطو وطبيَّات لبقراط ل.ش